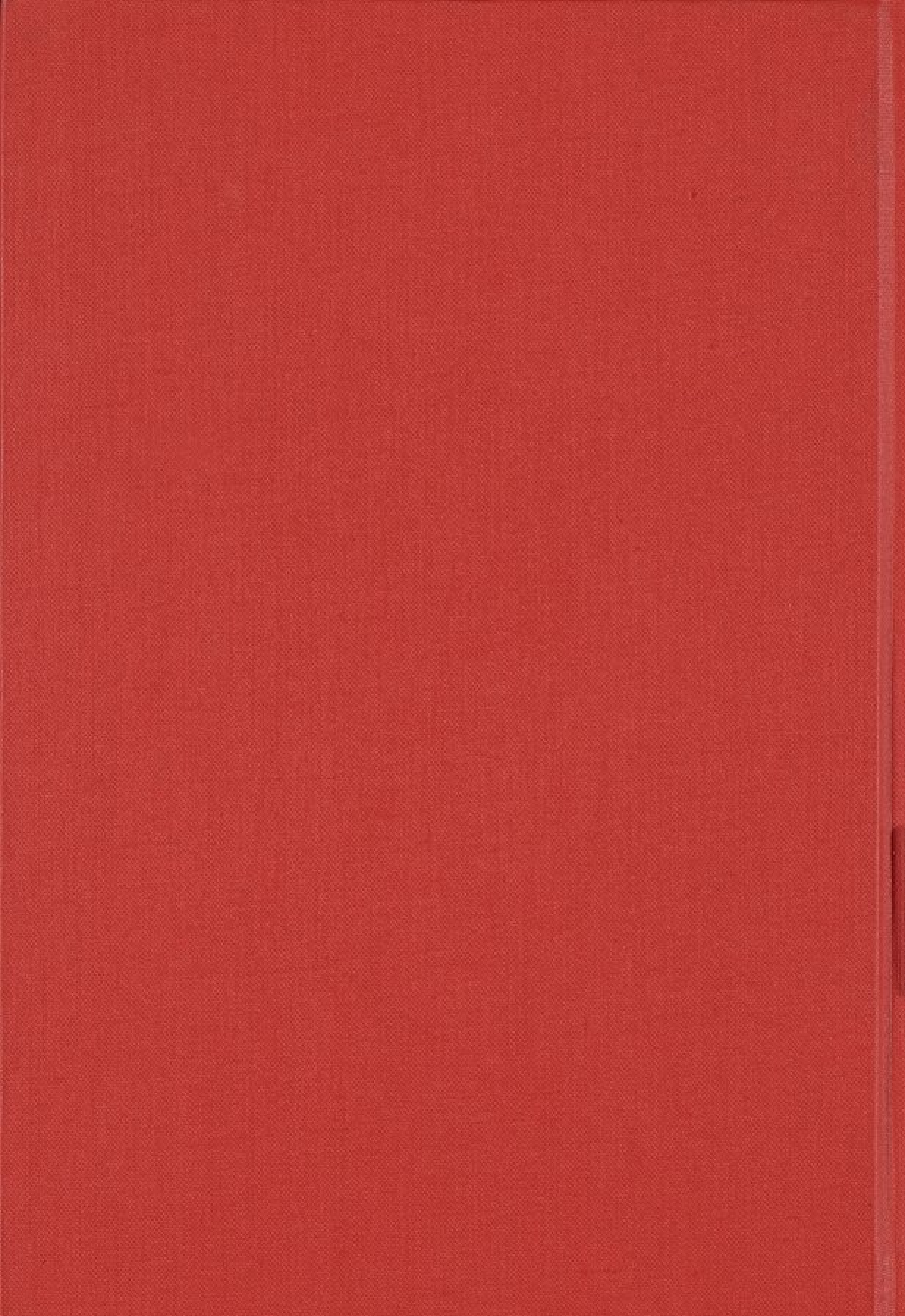
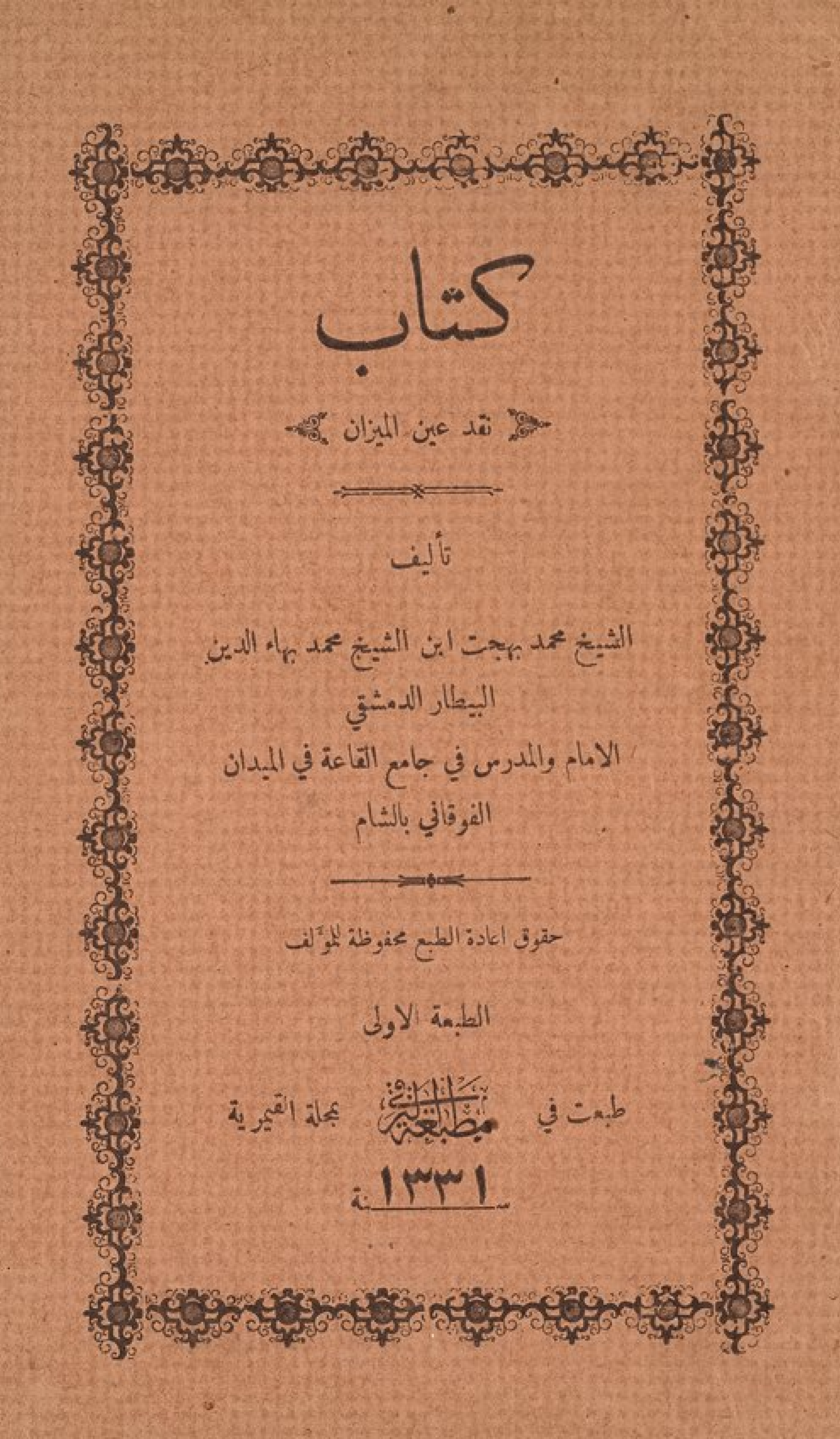




كتاب

نقد عين الميزان

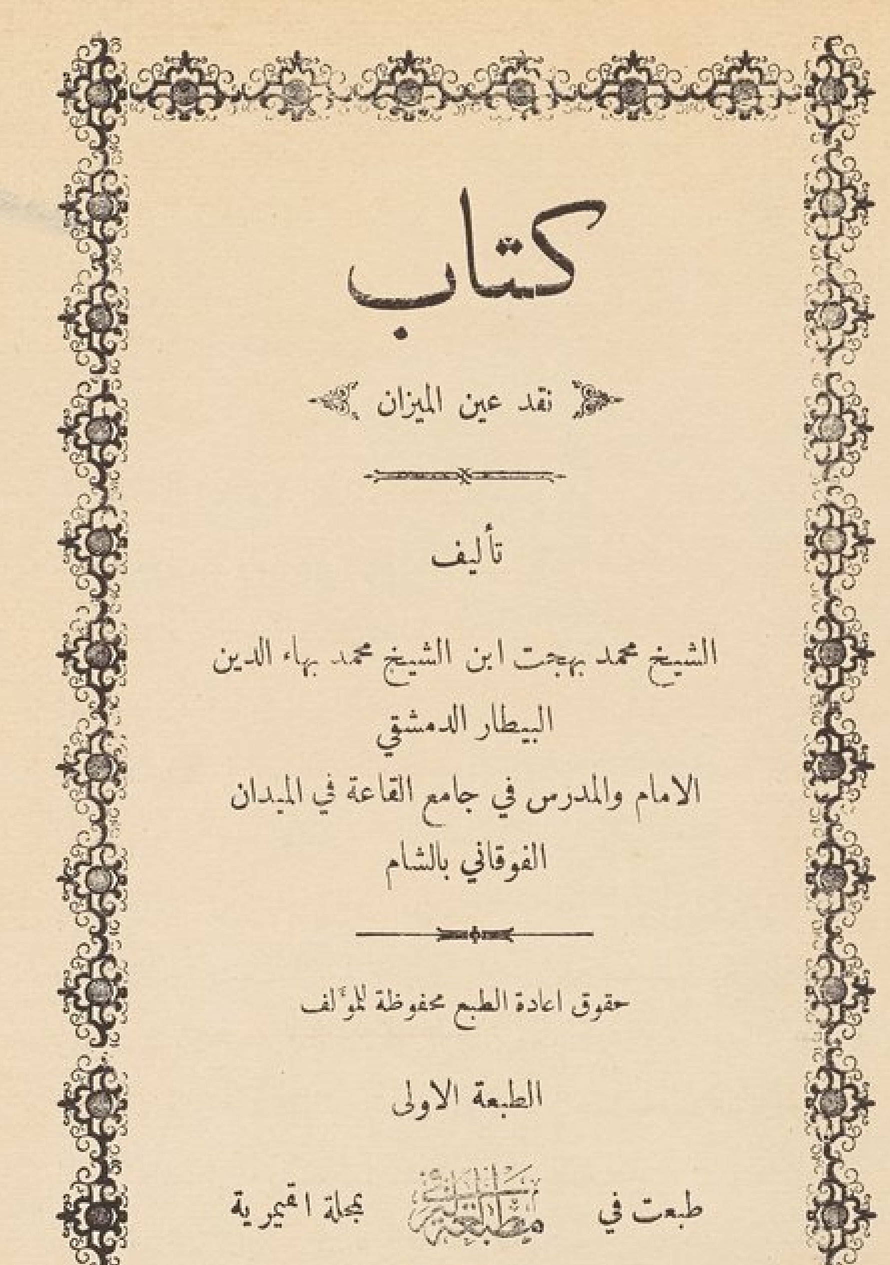
تأليف

الشيخ محمد بهجت ابن الشيخ محمد بهاء الدين
البيطار الدمشقي
الامام والمدرس في جامع القاعة في الميدان
الفوقاني بالشام

الطبعة الاولى

طبعت في مطبعة الترقي بمحلة القيمرية

سنة ١٣٣١



كتاب

نقد عين الميزان

تأليف

الشيخ محمد بهجت ابن الشيخ محمد بهاء الدين
البيطار الدمشقي
الامام والمدرس في جامع القاعة في الميدان
الفوقاني بالشام

الطبعة الاولى

طبعت في مطبعة الترقي بمحلة القيمرية

سنة ١٣٣١





الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام عَلَى من لانبي بعده ، وعلى آله وصحبه ، وتابعيه وحزبه ·

وبعد فان الاختلاف في المذاهب ، والتباين في المشارب ، امر معروف في الادوار ، متماد بتمادي الاعصار ، لم تخل منه طائفة من العلماء ، بل جميع الطوائف فيه عَلَى السواء ، فهو موجود بين زعماء الاجتماع والعمران ، كما انه مشهود في علماء الاديان · وان اشده في ايام استبحار العلوم ، والأخذ بالمنطوق منها والمفهوم ، حيث تفترق انظار النظار ، وتتباين الاذهان والافكار ، وتختلف المآخذ والمدارك ، مابين آخذ بقول وآخر له تارك · وكل منهم يكافح عن قوله مكافحة الرجال ، ويناضل دونه مناضلة الابطال ، اعتقاداً منه ان قوله صواب ، يدان الله به يوم الحساب · وهناك يكون المخطئ والمصيب ، ولكل منهما من ثمرة اجتهاده نصيب ·

ولقد قدر ان يكون لكل فرقة اشياع ، وانصار واتباع ، نصروا مذهبهم ، وايدوا مشربهم · بيد ان بين هذه الفرق فريقا ضلوا سواء السبيل ، واستنوا سنة التفسيق والتضليل ، وجعلوا يتنابذون بالالقاب ، ونسوا ما يكتنفهم من الاخطار في هذا الباب ، حتي استشرى الشر ، واستفحل الامر ، وعظم الخطب ، واشتد الكرب ·

غير ان الله سبحانه وله المنة ، قد قيض في كل عصر طائفة من مصلحي هذه الامة ، ظاهرين عَلَى الحق ، ناهجين منهج الصدق ، سالكين سبيل الانصاف ، نابذين طريق الاعتساف ، يسعون لتعديل الغالين ، من سائر فرق المسلمين . وان من كبارهم واعاظمهم في هذا العصر ، استاذنا الامام ، عالم الشام ، وعلم الاعلام ، السيد محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي الحسيني ، حفظه الله ، وامتعنا بطول بقــاه . فهو مازال يكتب ويؤلف ، ويحرر ويصنف ، ويدعو الناس الى التآلف والتعارف ، والتراحم والتعاطف ، ونبذ الضغائن والاحقاد ، والهدي الى سبيل الرشاد ، والاخـذ بكل قول سديد ، من اي فرقة من فرق التوحيد . وقد بينت قوله ، ادام الله فضله ، في اوائل منظومتي « الطامة الكبرى ، عَلَى صاحب الرائية الصغرى » (١)

ولقد الف في هذه المدة كتاباً سماه (ميزان الجرح والتعديل) نشـره في مجلة (المنار) الغراء ، ثم جمع منها وافرد بالطبع على حدة . بحث فيه بحثاً علمياً فلسفياً تاريخياً اجتماعياً اخلاقياً . بين فيه منشأ النبز بالابتداع ، وانه مضر في ناموس العمران والاجتماع ، وان التحمل عن المبدعين ، مذهب كبار المحدثين ، وذكر ايده الله عقوق الخلف ، بهجر مذهب السلف ، الى

---

(١) رسالة النبهاني ، رتبها على خمسة فصول ، زعم في الفصل الاول منها ان الامة اجمعت على تقليد الائمة الاربعة رضوان الله عليهم ، وفسق او كفر من لم يقلد واحداً منهم ، وذم في الفصل الثاني والثالث والرابع السيد صاحب المنار وشيخه الاستاذ الامام وشيخ شيخه السيد الافغاني ، وذم في الفصل الخامس علامة العراق السيد محمود شكري الآلوسي الشهير . وقد رددت على فصولها الخمسة في منظومتي « الطامة الكبرى » وارسلتها لمولانا الآلوسي المنوه به ، — لتطبع مع الردود التي ينظمها افاضل علماء وادباء العراق في الرد على الشيخ النبهاني

آخر ما اودعه حفظه الله من المسائل العلمية ، والمباحث الاخلاقية الاجتماعية .

وانما قصد بذلك لم شعث الامة ، والاقتداء بمن سلف من الائمة ، والاستمساك بعروة الدين ، والاعتصام بحبل الله المتين ، علماً منه بان الانفصام والانحلال ، يقود الى البوار والاضمحلال .

ولقد وقف على هذا الكتاب حضرة الاستاذ الجليل ، والحبر النبيل ، الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء ، احد اعلام النجف الاشرف . فنقد بعض ابحاثه برسالة سماها (عين الميزان) ، طبعت وحدها بعد ان نشر بعضها في آخر عدد من (العرفان) . ولقد تشرفت بمطالعتها ، فالفيتها تشف عن فضل كاتبها وعلمه ، وقوة رسوخه ودقة فهمه ، وادب زائد في المناظرة ، وانصاف في البحث والمحاورة . بيد انه حفظه الله قد تطرف في بعض ابحاثه للتكفير او التفسيق ، الذي هو خلاف ما عليه اهل التحقيق ، وهو لا ينبغي ان يكون بين اهل الملة ، كما سنوضحه بالادلة .

ولما كانت اشغال استاذنا كثيرة ، واعماله وفيرة ، ووقته غير متسع لتحقيق الرسالة وتدقيقها ، والمناقشة في مواضع النظر منها ، قمت نائباً عنه ، بعد ان استأذنت منه . فها انا ذا اناقش حضرة الاستاذ بما لاحظت عليه ، واضع مناقشتي بين يديه ، فان حسنت لديه فذاك ، والا فاكون بذلت جهدي ، وابديت ما عندي . ويعلم الحق اني لم اكن لاكتب هذه الرسالة اتباعاً للاهواء النفسية ، ولا اخذاً بالحمية الجاهلية ، معاذ الله ! « لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين » ولكني كتبتها مشياً مع الحق الذي هو احق ان يتبع . وانا نسأله تعالى ان يهدينا الى الصواب ، ويلهمنا الحكمة وفصل الخطاب ، انه هو الكريم الوهاب .

﴿ فصل ﴾

قال الاستاذ النجفي : ان الذي اوقفني موقف الحيرة والدهشة ، ودعاني الى بث هذه النفثة ، هو ذهول شيخنا القاسمي عن لازم مانقله (مختاراً له) عن ابن حجر في شرح النخبة من قوله « والمعتمد ان الذي ترد روايته من انكر امراً متواتراً من الشريعة ، معلوماً من الدين بالضرورة واعتقد عكسه » اه يالله للعجب ، يالله للمسلمين ، ما ادري اي امر اشد تواتراً في الشريعة واكثر معلومية من الدين بالضرورة ، من وجوب مودة اولي القربى واهل بيت النبوة . ومن جراء ذلك دفعتني الحيرة الى العجب والعجب الى الحيرة ، وطفقت لا ادري هل ان القاسمي لايرى هذا امراً متواتراً في الشريعة معلوماً من الدين بالضرورة ، ام انه لايرى ان ابن حطان كان لايعتقد عكسه ويدين بخلافه ؟ (قال) والا فمع بداهة هذين الامرين—وجوب الموالاة لاهل البيت بالضرورة ، وبغض ابن حطان وسائر الخوارج لهم بالبداهة كيف يحكم اولاً بالتخريج عنه ، والتعويل عليه ؟

(اقول) للمتواتر شروط مبسوطة في كتب المصطلح واصول الفقه . وحاصلها (١) عدد كثير احالت العادة تواطأهم وتوافقهم على الكذب (٢) رووا ذلك عن مثلهم من الابتداء الى الانتهاء (٣) كان مستند انتهائهم الحس (٤) انضاف الى ذلك ان يصحب خبرهم افادة العلم لسامعه : هذا حاصل ماذكره ائمة المصطلح والاصول في شروط المتواتر فهل بلغت الآثار الواردة في مودة آل البيت عليهم السلام هذه الدرجة واستجمعت هذه الشروط ، حتى تفيد العلم اليقيني للسامع ؟

قال الامام فخر الاسلام(١) : الخبر المتواتر كالمعاين المسموع منه عليه السلام وذلك لانه يرويه قوم لايحصى عددهم ، ولا يتوهم تواطؤهم عَلَى الكذب لكثرتهم وعدالتهم وتباين اماكنهم . ويدوم هذا الحد فيكون آخره كاوله ، واوله كآخره واوسطه

(قال) وذلك مثل نقل القرآن والصلوات الخمس ، وعدد الركعات ، ومقادير الزكاة ، وما اشبه ذلك اه وقد نقل في مسلم الثبوت وشرحه ايضاً عن ابن الصلاح رحمه الله قوله بعدم وجود المتواتر (قال) الا ان يدعى بحديث : من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار : وعدد غيره الاحاديث التي تواترت لفظاً ومعنىً فوجدت قليلة لم تتجاوز عدد الاصابع .

وليس المقصود نفي وجوب مودة آل البيت عليهم السلام ، كيف وقد ثبتت بالاحاديث الصحيحة ، والآثار الرجيحة ، ولكنها لاتلحق بالضروريات ولا تكون في مصاف البديهيات . وقوله « والا فمع بداهة هذين الامرين : وجوب الموالاة لاهل البيت بالضرورة ، وبغض ابن حطان وكل خارجي لهم بالبداهة ، كيف يحكم اولاً بتخريج الرواية عنه والتعويل عليه » فقد قدمنا ان موالاتهم ليست معلومة الوجوب من الدين بالضرورة ، اذ انه يلزم ان تكون الآثار قد نقلت الينا نقلاً متواتراً — عَلَى نحو ماقدمنا — حتى تفيد الوجوب بالضرورة ، وقد انتفى اللازم فانتفى الملزوم . ثم لانسلم ان ابن حطان وكل خارجي يبغضون اهل البيت عليهم السلام جميعهم ، وانما يبغضون علياً عليه السلام ومن تولاه فقط سواء كان من اهله اوغيرهم .

---

(١) شرح مسلم الثبوت جزء ٢ ص ١١٩

قال الامام البغدادي(١) رحمه الله : وقد اختلفوا فيما يجمع الخوارج عَلَى افتراق مذاهبها ، فذكر الكعبي في مقالاته ان الذي يجمع الخوارج على افتراق مذاهبها اكفار علي وعثمان والحكمين واصحاب الجمل وكل من رضي بتحكيم الحكمين والاكفار بارتكاب الذنوب ، ووجوب الخروج عَلَى الامام الجائر . وقال شيخنا ابو الحسن : الذي يجمعها اكفار علي وعثمان واصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم وصوب الحكمين او احدهما ووجوب الخروج عَلَى السلطان الجائر . (قال) ولم يرض ماحكاه الكعبي اجماعهم عَلَى تكفير مرتكبي الذنوب اه

وقال الامام الشهرستاني(٢) : ويجمعهم (يعني فرق الخوارج) القول بالتبري عن عثمان وعلي ويقدمون ذلك عَلَى كل طاعة ، ولا يصححون المناكحات الا على ذلك . ويكفرون اصحاب الكبائر ، ويرون الخروج عَلَى الامام اذا خالف السنة حقاً واجباً اه

والمقصود انهم يبغضون علياً ومن تولاه ورأى رأيه وشهد حروبه ، من اهل البيت عليهم السلام ومن غيرهم — بسبب تلك الشبهة التي دخلت عليهم في دينهم بعد التحكيم ، وشهدوا عَلَى انفسهم انهم كفروا اذ حكموا الرجال ثم تابوا وانابوا ، ولما جاءهم علي عليه السلام الى النهروان لينظر في امرهم اخبروه بانهم قد جددوا ايمانهم بعد ان كفروا بالتحكيم ، وامروه بان يستغفر من ذنبه ، ويتيب الى ربه ، ويجدد ايمانه ، فقال لهم : ابعد ايماني برسول الله صلى الله عليه وسلم وهجرتي معه وجهادي في سبيل الله ، اشهد عَلَى نفسي بالكفر « لقد ضللت اذاً وما انا من المهتدين » فهذه هي الشبهة

---

(١) الفرق بين الفرق — في بيان مقالات الخوارج ص ٥٤ (٢) الملل والنحل ص ١٥٦

التي دخلت عليهم في الدين ، وعدوا انفسهم من اجلها كافرين ، وابغضوا عليا بسببها (بعد ان كانوا يحبونه حباً جماً ومنهم من حارب معه في وقعتي الجمل وصفين) وابغضوا الحكمين وكل من رضي بالتحكيم من آل البيت وغيرهم ، واصحاب الجمل ، الى آخر ما اثرناه عن البغدادي والشهرستاني . ومنه يعلم انهم لم يبغضوا آل البيت عليهم السلام كما ادعى الاستاذ ، سواء منهم المائت والشاهد ، والغابر والحاضر ، بل كان بغضهم مقصوراً على من شهد الحرب ، ورضي بالتحكيم منهم ومن غيرهم ، وليس ذلك الا لهذه الشبهة التي دخلت عليهم . وسيمر بك زيادة ايضاح ان شاء الله في الفصل الذي افردناه لذكر ما للخوارج وما عليهم .

فصل

قال الاستاذ النجفي : اما كون محبة اهل البيت عليهم السلام من الواجبات الضرورية ، في الشريعة الاسلامية ، فقل لا اسألكم عليه دليلا بعد قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه اجرا »

(اقول) اختلف السلف رضي الله عنهم في تأويل هـذه الآية على اقوال ذكرها الامام ابو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره ، فقال(١) رحمه الله — بعد قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للذين يمارونك في الساعة من مشركي قومك : لا اسألكم ايها القوم على دعايتكم الى ما ادعوكم اليه من الحق الذي جئتكم به ، والنصيحة التي انصحكم ، ثواباً وجزاء ، وعوضاً

(١) جزء ٢٥ ص ١٣

من اموالكم تعطوننيه الا المودة في القربى (قال) : واختلف اهل التأويل في معنى قوله الا المودة في القربى ، فقال بعضهم معناه الا ان تودوني في قرابتي منكم ، وتصلوا رحمي بيني وبينكم . ثم روى ذلك — بطرق مختلفة — عن ابن عباس ، وعكرمة ، وابي مالك ، وقتادة ، ومجاهد ، والسدي ، والضحاك ، وابن زيد ، وعطاء بن دينار . والمتون التي اوردها رحمه الله عن الائمة المذكورين مختلفة اللفظ ، متفقة المعنى ، على كون خطابه صلى الله عليه وسلم مع مشركي قومه . (قال) وقال آخرون : قل لمن تبعك من المؤمنين لا اسألكم على ماجئتكم به اجراً الا ان تودوا قرابتي : وذكر ذلك عن ابي الديلم ، وابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وعمرو بن شعيب . (قال) وقال آخرون : قل لا اسألكم ايها الناس على ماجئتكم به اجراً الا ان توددوا الى الله ! وتتقربوا بالعمل الصالح والطاعة : وساق ذلك باسانيد عن ابن عباس ، والحسن ، وقتادة . (قال) وقال آخرون بل معنى ذلك الا ان تصلوا قرابتكم : وحكى ذلك عن عبد الله بن القاسم . ثم قال رحمه الله تعالى — بعد ان سرد اقوالهم : واولى الاقوال في ذلك بالصواب ، واشبهها بظاهر التنزيل ، قوله من قال معناه : قل لا اسألكم عليه اجراً يامعشر قريش الا ان تودوني في قرابتي منكم ، وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، (قال) : وانما قلت هذا التأويل اولى بتأويل الآية — لدخول (في) في قوله : الا المودة في القربى ، ولو كان معنى ذلك على ما قاله من قال : الا ان تودوا قرابتي ، او تقربوا الى الله ، لم يكن لدخول (في) — في الكلام — في هذا الموضع — وجه معروف ، ولكان التنزيل : الا مودة القربى — ان عنى به الامر بمودة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم او الا المودة بالقربى

او ذا القربي ، ان عنى به التودد والتقرب ٠ (قال) وفي دخول (في) في الكلام اوضح الدليل علَى ان معناه الا مودتي في قرابتي منكم ، وان الالف واللام في المودة ادخلتا بدلاً من الاضافة - كما قيل فان الجنة هي المأوى انتهى

وقال الامام البخاري رحمه الله - في كتاب تفسير القرآن من صحيحه - مانصه : باب قوله : الا المودة في القربى : حدثنا محمد بن بشار ، حدثنا محمد ابن جعفر ، حدثنا شعبة ، عن عبد الملك بن ميسرة ، سمعت طاوسا ، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه سئل عن قوله تعالى : الا المودة في القربي ، فقال سعيد بن جبير قربى آل محمد صلى الله عليه وسلم ، فقال ابن عباس عجلت ، ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن بطن من قريش الا كان له فيهم قرابة ، فقال الا ان تصلوا مابيني وبينكم من القرابة اه

وقال الامام ابن تيمية (١) في تعديد وجوه بطلان الاستدلال في هذه الآية (الوجه الثالث) ان هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية باتفاق اهل السنة ،بل جميع آل حم مكيات ، وكذلك آل طس ٠ ومن المعلوم ان عليّاً انما تزوج فاطمة بالمدينة بعد غزوة بدر ، والحسن ولد في السنة الثالثة من الهجرة ، والحسين في السنة الرابعة ، فتكون هذه الآية قد نزلت قبل وجود الحسن والحسين بسنين متعددة ، فكيف يفسر النبي صلى الله عليه وسلم الآية بوجوب مودة قرابة لا تعرف ولم تخلق ؟

(الوجه الرابع) ان تفسير الآية الذي في الصحيحين عن ابن عباس يناقض ذلك ففي الصحيحين عن سعيد بن جبير ، قال سئل ابن عباس عن قوله تعالى : قل لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربي،فقلت ان لاتؤذوا

---

(١) منهاج السنة النبوية جزء ٤ ص ٢٩

محمداً في قرابته فقال ابن عباس عجلت ، انه لم يكن بطن من قريش الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم قرابة ، فقال : لا اسألكم عليه اجرا لكن ان تصلوا القرابة التي بيني وبينكم ، (قال) فهذا ابن عباس ترجمان القرآن، واعلم اهل البيت بعد علي يقول : ليس معناها مودة ذوي القربى ، لكن معناها لا اسألكم يا معشر العرب ويا معشر قريش عليه اجراً لكن اسألكم ان تصلوا القرابة التي بيني وبينكم ، فهو سأل الناس الذين ارسل اليهم اولاً ان يصلوا رحمه فلا يعتدوا عليه ، حتى يبلغ رسالة ربه ·

(الوجه الخامس) انه قال لا اسألكم عليه اجرا الا المودة في القربى ، لم يقل الا المودة للقربى ، ولا المودة لذوي القربى ، فلو اراد المودة لذوي القربى لقال المودة لذوي القربى — كما قال : « واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى » وقال : « ما افاء الله على رسوله من اهل القرى : فلله وللرسول ولذي القربى » وكذلك قوله : « فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل » وقوله : « وآتى المال على حبه ذوي القربى » وهكذا في غير موضع · فجميع ما في القرآن من التوصية بحقوق ذوي قربى النبي صلى الله عليه وسلم وذوي قربى الانسان : انما قيل فيها ذوي القربى لم يقل في القربى : فلما ذكر هنا المصدر دون الاسم : دل على انه لم يرد ذوي القربى ·

(الوجه السادس) انه لو اريد المودة لهم لقال المودة لذوي القربى ولم يقل في القربى ، فانه لا يقول المودة لغيره اسألك المودة في فلان ، ولا في قربى فلان ، ولكن اسألك المودة لفلان ، والمحبة لفلان ، فلما قال المودة في القربى علم انه ليس المراد لذوي القربى ·

(الوجه السابع) ان يقال ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل عَلى تبليغ رسالة ربه البتة ، بل اجره عَلى الله — كما قال : « قل ما اسألكم عليه من اجر وما انا من المتكلفين » وقوله : « ام تسألهم اجراً فهم من مغرم مثقلون » وقوله : « ما سألتكم من اجر فهو لكم ان اجري الا عَلى الله » ولكن الاستثناء هنا منقطع كما قال : « قل ما اسألكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا » (قال رحمه الله) ولا ريب ان محبة اهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم واجبة ، لكن لم يثبت وجوبها بهذه الآية ، ولا محبتهم اجر النبي صلى الله عليه وسلم ، بل هو مما امرنا الله به كما امرنا بسائر العبادات . وفي الصحيح عنه انه خطب اصحابه بغدير يدعى خما بين مكة والمدينة ، فقال اذكركم الله في اهل بيتي ، وفي السنن عنه انه قال : والذي نفسي بيده لا يدخلون الجنة حتى يحبوكم لله ولقرابتي : فمن جعل محبة اهل بيته اجراً له يوفيه اياه ، فقد اخطأ خطأً عظيماً ولو كان اجرا له لم نثب عليه نحن ، لانا اعطيناه اجره الذي يستحقه بالرسالة ، فهل يقول مسلم مثل هذا ؟

(الوجه الثامن) ان القربى معرفة باللام ، فلا بد ان يكون معروفا عند المخاطبين الذين امر ان يقول لهم : لا أسألكم عليه اجرا . وقد ذكرنا انها لما نزلت لم يكن قد خلق الحسن والحسين ، ولا تزوج علي بفاطمة ، فالقربى التي كان المخاطبون يعرفونها يمتنع ان تكون هذه ، بخلاف القربى التي بينه وبينهم ، فانها معروفة عندهم ، كما تقول لا اسألك الا المودة في الرحم التي بيننا ، وكما تقول : لا اسألك الا العدل بيننا و بينكم ، ولا اسألك الا ان تتقي الله في هذا الامر انتهى المقصود منه

ولو اردنا ان نتوسع في البحث ، ونذكر جميع النصوص التي وقفنا عليها في تفسير هذه الآية الكريمة ، وان المراد بها خطاب المشركين ، في ان يودوه صلى الله عليه وآله وسلم لقرابته منهم ، ويصلوا الرحم التي بينه وبينهم ، لا ان المراد بها خطاب المؤمنين ، في ان يودوا اهل بيته الطاهرين ، — لو اردنا ان نتوسع في البحث ، ونفسح مجالاً لايراد جميع ماوقفنا عليه ، لطال بنا المقام ، ولفاتنا ماتوخيناه من الاقتصار علَى مايفي بالمرام ، وفيما ذكرناه كفاية ، والله ولي الهداية

﴿ فصل ﴾

قال الاستاذ النجفي : ولولا ان هذه الجلية ، والمسألة البديهية ، الا وهي فريضة موالاة اهل البيت قد عادت بفضل انتشار الكتب ، واتساع العلم ، وتقلص ظل العصبيات ، والتمويهات ، وكتمان الحقائق ، نعم قد اصبحت من الحقائق الراهنة ، والامور المسلمة ، قد تصافق المسلمون عليها اليوم وقبله يداً واحدة ، وعادوا فيها شرعاً سواسية ، لايستطاع لها كتمان ، ولا يختلف فيها اثنان ، — لولا ذلك لاوردنا من نصوص الكتاب الكريم ، ومحكمات السنة النبوية ، — من الصحاح الستة وغيرها من المسندات ، كمسند الامام احمد بن حنبل وغيره ، ماينظمها في سلك اكبر الفرائض الاسلامية ، واساسيات الشريعة المحمدية ، كوجوب الصوم والصلاة والحج والزكاة الخ

(اقول) اما مودة اهل البيت وكونها من الواجبات ، فقضية مسلمة مقبولة ، ومعلومة غير مجهولة ، ولكنها لاتندرج في عموم الضروريات ، ولا تندمج في طي الاساسيات ، ولا تنتظم في سلك اكبر الفرائض الاسلامية ،

كالصوم والصلاة والحج والزكاة ، فان هذه فروض قد نص عليها في الكتاب الكريم ، واستفاض ذكرها في السنه النبوية ، واطبقت الامة علَى فرضيتها في جميع العصور ، فأفادت العلم الضروري . وتلك لم تبلغ درجة المتواتر من الاحاديث النبوية ، فأَفادت العلم النظري . وكم الفرق بين مايعلم بالبداهة من الدين ، ويستوي في علمه سائر طبقات المسلمين ، وبين ما يحتاج الى نظر ، وقدح زند الاذهان والفكر ، فمنكر الاول خارج عن الدين ، ومنكر الثاني معدود في جملة المسلمين ، فبينهما اذاً فرق عظيم .

✻ فصل ✻

قال الاستاذ النجفي : ان من الاحاديث التي اخذت حظها من الوثاقة والشيوع ، وكادت ان تكون متواترة معنى ولفظاً ، بانحاء من البيان ، واساليب من التعبير ، في اسانيد عديدة ، قريبة وبعيدة ، قول النبي صلوات الله عليه « يا علي لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق » وقد روته اكابر المحدثين ، وثقات نقلة الأخبار ، من الصحاح الستة وغيرها .

(اقول) اما الصحيح من هذه الكتب فالبخاري ومسلم ، واما غيرهما كمسند الامام احمد وسنن الترمذي ، والنسائي ، وابي داود ، فهي لاترتقي درجة كتابي الشيخين ، اللذين سميا بالصحيحين ، لتلقي الأمة لهما بالقبول ، وغيرهما فيه الصحيح والحسن والضعيف فلا يلحق بهما . واما تسمية تلك الكتب بالصحاح ، فذاك غير معروف ، لأن اربابها لم يشترطوا الصحة فيها كما هو معروف والجواب عن الحديث من وجوه :

(الأول) ان قوله صلى الله عليه وسلم لايحبك الا مؤمن : معناه

مؤمن ايماناً كاملاً ، فان الايمان يزيد وينقص ، وليس المقصود بالايمان هنا ما يقابل الكفر ، والا لاستلزم ذلك تكفير من اتى بالشهادتين وامتثل الأوامر واجتنب النواهي اذا لم يكن محباً لعلي كرّم الله وجهه وهذا اللازم باطل ، فالملزوم مثله كما هو ظاهر . وقد روي في الصحيحين وغيرهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لما سأله جبريل عليه السلام فقال له : ما الايمان ؟ قال الايمان ان تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وبرسله وتؤمن بالبعث . قال ما الاسلام ؟ قال الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا : ثم قال لاصحابه : هذا جبريل اتى يعلمكم دينكم . وكذا لما جاءه الاعرابي وسأله عن امور دينه ، ذكر له نحواً من هذا ، فقال ذاك : والذي بعثك بالحق نبياً لا ازيد على هذا ولا انقص ، فقال صلى الله عليه وسلم افلح الاعرابي ان صدق : فلم يذكر صلوات الله عليه المحبة او المودة في جملة ماذكر بل عدد غيرهما من اساسيات الدين ، وقوائم الشرع المتين ، كالايمان بالله والملائكة والرسل ، واقامة الصلاة ، واداء الزكاة ونحو ذلك ، فعلم ان المحبة من المتممات لا من الاساسيات .

ثم ان لهذا الحديث نظائر واشباهاً في السنة ، كقوله (١) صلى الله عليه وسلم المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده » وقوله (٢) صلوات الله عليه : لايؤمن احدكم حتى يحب لاخيه مايحب لنفسه ، وقوله (٣) لا يزني الزاني

« ١ » رواه مسلم عن جابر (٢) حديث صحيح اخرجه الامام احمد ، والشيخان ، والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه عن انس كما في الجامع الصغير للسيوطي (٣) رواه مسلم عن ابي هريرة

حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن : ومثل هذا في السنة كثير. وقد قال الامام النووي (١) رحمه الله — عند قوله صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني الخ (باب بيان نقصان الايمان بالمعاصي ، ونفيه عن المتلبس بالمعصية عَلَى ارادة نفي كماله) وساق الحديث بتمامه ثم قال : هذا الحديث مما اختلف العلماء في معناه ، فالقول الصحيح الذي قاله المحققون ان معناه : لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الايمان. (قال) وهذا من الالفاظ التي تطلق عَلَى نفي الشيء ويراد نفي كماله ومختاره — كما يقال : لا علم الا ما نفع ، ولا مال الا الابل ، ولا عيش الا عيش الآخرة : (قال) وانما تأولناه عَلَى ما ذكرناه ، لحديث ابي ذر وغيره : « من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق » وحديث عبادة بن الصامت الصحيح المشهور انهم بايعوه صلى الله عليه وسلم عَلَى ان لا يسرقوا ولا يزنوا ولا يعصوا الخ ثم قال لهم صلى الله عليه وسلم : فمن وفى منكم فأجره عَلَى الله ، ومن فعل شيئاً من ذلك فعوقب في الدنيا فهو كفارته ، ومن فعل ولم يعاقب ، فهو الى الله تعالى ، ان شاء عفا عنه ، وان شاء عذبه : (قال) فهذان الحديثان — مع نظائرهما في الصحيح مع قول الله عز وجل : « ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » مع اجماع اهل الحق عَلَى ان الزاني والسارق والقاتل وغيرهم من اصحاب الكبائر غير الشرك لا يكفرون بذلك ، بل هم مؤمنون ناقصو الايمان ، ان تابوا سقطت عقوبتهم وان ماتوا مصرين على الكبائر كانوا في المشيئة ، فان شاء الله تعالى عفا عنهم وادخلهم الجنة اولاً ، وان شاء

(١) شرح صحيح مسلم جزء ١ ص ٤٣٦

عذبهم ثم ادخلهم الجنة . (قال) وكل هذه الادلة تضطرنا الى تأويل هذا الحديث وشبهه انتهى كلام النووي رحمه الله

(قلت) ويقال في قوله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام لايحبك الا مؤمن : ماقاله النووي في حديث : لايزني الزاني الخ حرفاً بحرف ، اذ الاولى حمل الاشباه عَلَى نظائرها ، والنظائر عَلَى اشباهها ، فعلى هـذا معنى الحديث : لايحبك الا مؤمن تام الايمان : واصل الايمان حاصل ان لم يكن متصفاً بهذه الصفة ، وليس المقصود ان من لم يكن متصفاً بها يكون خارجاً عن الدين ، معدوداً في جملة الكافرين !

(الثاني) ان قوله صلى الله عليه وسلم لايبغضك الا منافق : ليس المقصود منه النفاق الشرعي الذي هو اظهار الايمان واستبطان الكفر ، بل هو نفاق دون نفاق . وقول الاستاذ (ص ٦) : من ذا يشك ان المنافق حيثما اطلق في الكتاب والسنة ، فالمراد به من يؤمن بلسانه ، وهو كافر بجنانه : غير مسلم عَلَى اطلاقه ، ولئن سلم في الكتاب العزيز فغير مسلم في السنة الكريمة : الا ترى قوله (١) صلى الله عليه وسلم : آية المنافق ثلاث : اذا حدث كذب ، واذا وعد اخلف ، واذا ائتمن خان ، وفي رواية : واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر : من ذا يقول ان اطلاق المنافق في هذا الحديث يراد به الكافر ؟ ان من يقول هذا يلزمه تكفير جل المسلمين في كل عصر ومصر ، اذ ندر ان يخلو شخص عن واحدة من هذه الخصال ، ومن ذا يكفر مسلماً اذا كذب بحديث اواخلف في وعد ، او خان في امانة ، او غدر في معاهدة ، اوفجر في مخاصمة والحال انه ملتزم للاحكام ، خاضع لحكم الاسلام ؟!

---

(١) اخرجه الشيخان والترمذي والنسائي عن ابي هريرة

قال النووي (١) رحمه الله تعالى : هذا الحديث (يعني قوله صلى الله عليه وسلم آية المنافق ثلاث الخ) مما عده جماعة من العلماء مشكلاً من حيث ان هذه الخصال توجد في المسلم المصدق الذي ليس فيه شك . وقد اجمع العلماء على ان من كان مصدقاً بقلبه ولسانه ، وفعل هذه الخصال ، لايحكم عليه بكفر ، ولا هو منافق يخلد في النار ، فان اخوة يوسف صلى الله عليه وسلم جمعوا هذه الخصال ، وكذا وجد لبعض السلف والعلماء بعض هذا او كله (قال) وهذا الحديث ليس فيه بحمد الله تعالى اشكال ، ولكن اختلف العلماء في معناه ، فالذي قاله المحققون والا كثرون — وهو الصحيح المختار - ان معناه ان هذه الخصال خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ، ومتخلق باخلاقهم ، فان النفاق هو اظهار مايبطن خلافه ، وهذا المعنى موجود في صاحب هذه الخصال ، ويكون نفاقه في حق من حدثه ووعده وائتمنه وخاصمه وعاهده من الناس ، لا انه منافق نفاق الكفار ، المخلدين في الدرك الاسفل من النار اه

وقد اورد الاستاذ آيات قرآنية ، واستشهد بها على ان المراد بالمنافق الكافر ، وهذا ليس بشيء ، لان كلامنا في الحديث لا في القرآن ، ولا يلزم من كون المنافق متى اطلق في الكتاب العزيز لايراد به الا الكافر ، ان يكون ذلك في السنة ، — لان عرف السنة قد يفترق عن عرف الكتاب ، ولا ملازمة بينهما ، فالاولى حمل الحديث على اشباهه من السنة النبوية ، — كما بيناه سابقاً ، والاستشهاد — بالكتاب الكريم في هذا المقام — لاتنهض به الحجة ، ولا تظهر به المحجة .

---

(١) شرح صحيح مسلم على هامش القسطلاني جزء ١ ص ٤٤٥

(الثالث) ان قوله صلوات الله عليه : لا يبغضك الا منافق : المراد منه الذي يبغضه عليه السلام لخصوص قرابته منه صلى الله عليه وسلم ، وحبه للنبي وحب النبي له ، وكونه زوج كريمته ، وحامل ذريته ، وابا السبطين الشهيدين عليهما السلام ، ولنصرته للاسلام وسابقته فيه ، فمن كان كذلك ، فلا يستغرب منه النفاق ، ولا يستبعد عنه الكفر ، — حيث انه بغيض للدين ، عدو للاسلام والمسلمين ، مناصب العداء للرسول الامين ، وآل بيته الطاهرين ، والخوارج ليسوا كذلك ، ولا سلكوا هذه المسالك ، فلا يبغضون علياً عليه السلام لخصوص قرابته ، واسلامه وسابقته ، كيف وان منهم من شهدوا حروبه ، وقاتلوا معه في وقعتي الجمل وصفين ، وكانوا يلقبونه بامير المؤمنين ، واثنوا عليه خيراً قبل التحكيم ولكنهم قد دخلت عليهم شبهة دينية بعد ان رضوا بالتحكيم ، فابغضوه عليه السلام لاجلها .

(الرابع) ان يقال ليس علي وحده تجب مودته ، وتلزم محبته ، بل ان ذلك عام في المؤمنين ، لانهم اخوة في الدين ، قال تعالى : « انما المؤمنون اخوة » وقال تعالى : محمد رسول الله ، والذين آمنوا معه اشداء على الكفار رحماء بينهم » وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد ان اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر » وعنه عليه الصلاة والسلام المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وامثال هذا في الكتاب والسنة كثير ، وكلها تنادي بواجب التحاب والتآلف ، والتواد والتعارف ، فلو ان كل انسان كفر لمعاداته اخاه ، او بغضه اياه ، بشبهة وبدونها ، للزم

تكفير اكثر من في الارض من المسلمين ، ولفتح علينا باب من التكفير واسع ، ماله من دافع ، « واتسع الخرق عَلَى الراقع »

❋ فصل ❋

قال الاستاذ النجفي : ثم نرجع الى مورد البحث خصوصياً ونقول : ابن حطان واخوانه من عامة الخوارج يبغضون علياً (ع) بلا ريب ، بل هو قاعدة مذهبهم ، واساس ضلالتهم ، وذلك مما يعامه ويعترف به كل احد حتى شيخنا القاسمي ، ومبغض علي منافق بنص ذلك الحديث المتواتر ، والمنافق كافر او اسوأ منه بنصوص تلك الآيات الكثيرة ، الذي يعضد بعضها بعضا ، ويسجل بعضها الآخر ، (قال) فتنسيق هذه المقدمات يقع بهذا النظم الذي يلي :

ابن حطان وسائر الخوارج يبغضون علياً ، وكل من يبغض علياً منافق ، وكل منافق كافر ، : فابن حطان كافر : وحينئذ نسأل من شيخنا القاسمي : اي هذه المقدمات المبرهنة يمكن المناقشة فيها ، والخدشة بها ؟

(اقول) ان هذا مفرع عَلَى مافهمه من الوعيد عَلَى مطلق البغض ، مع انه مقيد ببغض منشؤه امر دنيوي ، وحظ نفسي ، وحسد عَلَى فضل سابقته ، وكرامة مزيته ، واما بغض نشأ عَلَى تأويل ، وزعم صاحبه فيه انه مطيع لله سبحانه ، ولم يقصد فيه الا وجهه تعالى ، فلا يتناوله الحديث بلا ريب ، لان من اداه اجتهاده الى امر ، — وكان يقصد طاعة الله فيه — فهو مأجور فيه وان اخطأ ولا شك ان ابن حطان مخطئ في اجتهاده ، غير مصيب في رأيه ، ولكن لا يشك احد في انه كان يتوخى طاعة الله

تعالى في مذهبه، ويتحرى تقواه في مشربه، ودعوى خلاف ذلك مكابرة، لان سيرته محفوظة، وليس فيها مايخدش في تصلبه في الدين ، وان كان غالياً اصاره غلوه الى جفاء المخطئين .

ثم ان الاستاذ ناقض نفسه هنا في كلامه على الحديث حيث قربه قبل من المتواتر بقوله وكادت الخ، وهنا جزم بانه متواتر، بقوله بنص ذلك الحديث المتواتر، مع انه ليس متواتراً ولا مستفيضاً، كيف ولم يصححه الامام البخاري في كتابه الجامع الصحيح، ولذا لم يخرجه فيه، فاين التهور في دعوى التواتر ؟ نعم صححه مسلم فاخرجه في صحيحه،ولكن يعلم المحققون ان مالم يخرجه البخاري من الاخبار، فلامر مافيه، وعلل الاحاديث يعلمها اهلها، على انا وان كنا نقول بتصحيحه، ولكن لا نسلم استلزامه لما استنبطه الاستاذ منه، لان النفاق لا يساوق الكفر في سائر موارده، كما يعلم ذلك من استقرأ مواضعه في الاحاديث والآثار، فلا يسلم له قوله : المنافق كافر اواسوء منه : كليا : لان المنافق الكافر او الاسوء منه : انما هو المنافق الذي يظهر الايمان ويبطن الكفر : بمعنى انه يتظاهر بالاسلام تقية من اهله، — وهو مع ذلك يشرك بالله،ويكذب بوحيه : ويكفر برسوله، ويجحد كل ماجاء به النبي صلى الله عليه وسلم، فهذا هو المنافق الكافر او الاسوء منه، وهل يمكن ان ينطبق على ابن حطان ذلك — وهو واخوانه من الكفر فروا، كما قال علي كرم الله وجهه ؟

اذا علمت ذلك تبين لك بطلان الكليتين في قياسه، لان قوله : وكل من يبغض علياً منافق : لا يصح كليا كما تقدم، وكذا قوله : وكل منافق كافر : لا يصح اخذه كليا — لان النفاق كالكفر يطلق على فرده الاعظم،

وعلى كل ما يجر اليه مبالغة : كما يدل عليه استقراء موارده ، فسقط قوله في آخر بحثه : فاي هذه المقدمات المبرهنة يمكن المناقشة فيها : بانه لابرهان في واحدة فيها : ولا شبهته : ولذا صحت مناقشتها : حتى هدمتها رأساً لعقب

✵ فصل ✵

قال الاستاذ النجفي : اينسي المسلمون (حديث الغدير) الذي سارت به الريح الى كل سمع ، وكتبته الشمس عَلَى صحيفة النهار بانوارها ، والنجوم عَلَى اديم الليل البهيم باضوائها ، الحديث الذي رواه (ولا احصي من رواه) النسائي في الخصائص بما ينيف عَلَى عشرين طريقا ، منها ما نصه : اخبرنا احمد ابن المثنى ، ثم اوصل السند الى زيد بن ارقم ، قال لما دفع (ص) من حجة الوداع ، ونزل غدير خم ، امر بدوحات فقممن ، ثم قال كأني دعيت فاجبت ، واني تارك فيكم الثقلين ، احدهما اكبر من الآخر : كتاب الله وعترتي اهل بيتي ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما ، فانهما لا يفترقا حتى يردا علَى الحوض ، ثم قال : ان الله مولاي ، وانا ولي كل مؤمن ، ثم انه اخذ بيد علي رضي الله عنه فقال من كنت وليه فهذا وليه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه (الى ان قال) الاستاذ وقد روى مسلم حديث الغدير ولكن ببيان آخر كما تجده في صحيحه . ورواه الحافظ ابن عبد البر في الاستيعاب وهذا نصه : روى بريدة وابو هريرة ، وجابر والبراء بن عازب وزيد ابن ارقم كل واحد منهم عن النبي (ص) انه قال يوم غدير خم : من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه . ورواه الامام احمد بن حنبل بعدة طرق ، وابو نعيم والقاضي في الشفا ، وكل كبراء العلم ،

وثقات المحدثين ، ثم عدد من روى هذا الحديث الشريف من علماء السنة — نقلاً عن كتاب (الاقبال) للسيد جمال الدين بن طاوس

(اقول) يقال في وعيد المعاداة لعلي رضي الله عنه هنا ماقلناه في وعيد بغضه المتقدم وذلك معاداة باعثها الحسد والتنافس ، وقصد ايذاء النبي صلى الله عليه وسلم في النيل ممن يحبه ويؤثره وينوه بشأنه كما كان يجنح اليه ثلة من مسلمة الفتح الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم تمكن السابقين الاولين من المهاجرين والانصار ، فاراد صلى الله عليه وسلم التعريض لهم ولمن كان على شاكلتهم . واما عداوة اثارتها شبهة دينية ، لا حظوظ نفسية فان صاحبها بمعزل عن الوعيد وقد وجد في الصحابة من تهاجرا في آخر الامر الى الممات ، ومن تقاتلا ، وان كان الخطأ في الاجتهاد من احدهما حاصلاً البتة ، الا ان مثل ذلك انما يغتفر لباعث الاجتهاد ، وحسن النية . فاذن البغض والعداوة من المجمل ، ومثله لا يحكم عليه الا بعد بيانه كما هو معروف

(وهنا) مسألة مهمة جر اليها هذا البحث وهي مسألة الموالاة والمعاداة

ذكرها استاذنا عالم الشام ، في كتابه (نقد النصائح الكافية) ولعمري لقد حقق فاجاد ، ودقق فافاد ، قال (١) اطال الله بقاءه : ان النصوص في الحب في الله والبغض فيه ، هي في موالاة المؤمنين ، ومحادة المشركين المحاربين ، كما قال تعالى « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم او ابناءهم او اخوانهم او عشيرتهم » الاية . وقوله تعالى : « اشداء على الكفار رحماء بينهم » وقوله « ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم ان سخط الله عليهم

---

(١) المبحث الثاني عشر ص ٣٧

وفي العذاب هم خالدون » قال السيد ابن المرتضى الزبيدي في ايثار الحق : ذكر الامام المهدي بن المطهر عليهما السلام : ان الموالاة المحرمة بالاجماع هي موالاة الكافر لكفره ، والعاصي لمعصيته ، ونحو ذلك (قال) وهو كلام صحيح ، والمحبة على صحة الخلاف فيما عدا ذلك اشياء كثيرة : منها قوله تعالى في الوالدين المشركين بالله « وصاحبهما في الدنيا معروفا » ومنها قوله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديارهم ، ان تبروهم وتقسطوا اليهم ، ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ،واخرجوكم من ديارهم،وظاهروا على اخراجكم — ان تولوهم ، ومن يتولهم فاولئك هم الظالمون » . (ثم قال السيد) ويدل عليه قوله تعالى : « فان عصوك فقل اني بريء مما تعملون » فامره بالبراءة من عملهم القبيح لا منهم . وكذلك تبرأ النبي صلى الله عليه وسلم مما فعل خالد بن الوليد ولم يتبرأ منه ، بل لم يعزله من امارته (ثم قال) ويدل عليه جواز نكاح الفاسقة بغير زنا وفاقا ، ونكاح الكتابية عند الجمهور

وظاهر القرآن يدل عليه وفعل الصحابة . (ومن هنا اجاز المتشددون في الولاء والبراء ان يحب العاصي لخصلة خير فيه ولو كان كافراً كابي طالب في احد القولين ، وعلى الآخر حب النبي (ص) له قبل اسلامه ، وهو مذهب الهادوية . ويدل لهم في المسلم حديث شارب الخمر الذي نهى النبي (ص) عن سبه بعد حده ، وقال : لا تعينوا الشيطان على اخيكم ، اما انه يحب الله ورسوله : رواه البخاري . بل يدل عليه في حق اهل الاسلام قوله تعالى : « وبدا بينكم العداوة والبغضاء ابداً حتى تؤمنوا بالله وحده » فجعل الايمان بالله وحده غاية ، ينقطع عندها وجوب العداوة والبغضاء (ثم قال)

ويعضده مانص عليه من العفو عمن فر يوم احد ، ومنه حديث اهل الافك الا الذي تولى كبره منهم ، ومنه حديث مسطح ونزول الآية فيه ، ومنه تحريم المشاحنة والمهاجرة ، بل جعلها كالشرك في منع المغفرة للمتهاجرين حتى يصطلحا » قال استاذنا اه ملخصاً

فصل

قال الاستاذ النجفي : الا ترى لو ان طائفة من منتحلي الاسلام نبغت اليوم او قبل هذا فاجتهدت في امر الصلاة ، وزعمت ان اجتهادها دلها على عدم وجوب الصلاة بهذا النحو المتفق عليه ، وتأولت ماورد في الكتاب من قوله تعالى : اقيموا الصلاة -- بان المراد منها معناها اللغوي — وهو اقامة الدعاء والثناء لله جل شأنه ، وان ماورد في السنة كله اخبار آحاد لاتفيد علماً ولا عملاً ، والكتاب غير صريح بتفاصيل هذه الصلاة — كما ينقل ان طائفة من المسلمين اليوم هكذا تزعم في الصلاة والزكاة ، وتحملها على مطلق الصدقة على الفقراء والمساكين ، فهل ترى ان سائر المسلمين يفسحون العذر لهذه الطائفة ، ويقولون انها مجتهدة ومتأولة ، ام يعدونها خارجة عن ربقة الاسلام بما انها انكرت ضرورياً من ضروريات الدين لايقبل الاجتهاد والتأويل ؟

(اقول) كلا ، لايفسح أحد من المسلمين العذر لهذه الطائفة ، ولا احد يقول انها مجتهدة اومتأولة ، اذ لا اجتهاد في مقابلة النص ، بل تعد هذه الطائفة خارجة عن ربقة الاسلام بما انها انكرت ضرورياً من ضروريات الدين لايقبل الاجتهاد والتأويل كما ذكرتم . اما قياس مودة

اولي القربى علَى هذه المسئلة فقياس مع الفارق لوجوه : (الاول) ان الصلاة علَى هذه الكيفية امر متفق عليه بلا تردد بين طوائف المسلمين وحديث الصلاة علَى هذه الهيأة من الاحاديث النبوية المتواترة كما قاله غير واحد ، ولقد تلقاها المسلمون جيلاً عن جيل ، وخلفاً عن سلف من زمن النبوة والى عصرنا هذا ولم يختلف احد في عدد ركعاتها ولا هيأتها ، فلا مطمح لاحد ان يجتهد في شأنها بتغيير شيء منها . اما المودة فلم تبلغ درجة المتواتر ، فليس منكرها بالكافر .

(الثاني) ان الصلاة علَى هذه الكيفية بركعاتها وهيئاتها — احد الاركان الخمسة التي عليها بني الاسلام ، فمن انكرها اوانكر شيئاً من ركعاتها مثلاً ، فلا يعد مسلماً ، حيث انكر امراً متواتراً من الدين ، لايجوز انكاره لاحد من المسلمين ، والمودة ليست احد اركان الدين الخمسة التي يتوقف الاسلام عليها فافترقا .

الثالث) ان يقال لو سلمنا ان احاديث المودة متواترة في نفسها : فلا تستوجب تكفير هؤلاء ، لانها ليست في نظرهم متواترة ، ولا من الامور الضرورية التي يتوقف صحة الاسلام عليها .

ثم انا نطالب من الاستاذ بيان تلك الطائفة المنتحلة الاسلام التي حملت الصلاة علَى معناها اللغوي — وهو اقامة الدعاء والثناء ، وحملت الزكاة علَى مطلق الصدقة علَى الفقراء والمساكين .



فصل

قال الاستاذ النجفي : ثم هب انهم مجتهدون ومتأولون — كما يزعم الزاعمون ،

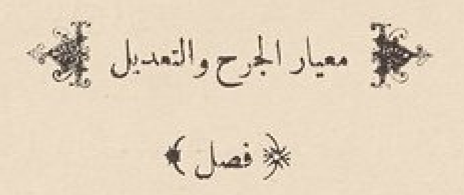
لكن افاليس قد اخبر النبي الصادق الامين صلوات الله عليه انهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وانهم يقرؤن القرآن لا يتجاوز حناجرهم، او تراقيهم (الى ان قال) ونحن نورد الحديث النبوي الذي اورده الامام البخاري (رض) (الى قوله) قال في باب علامات النبوة مانصه : حدثنا ابو اليمان ، اخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن ان ابا سعيد الخدري (رض) قال بينما نحن عند رسول الله (ص) وهو يقسم قسماً ، اذ اتاه ذو الخويصرة ، — وهو رجل من بني تميم ، فقال يا رسول الله اعدل ، فقال من يعدل اذا لم اعدل ، قد خبت وخسرت ان لم اكن اعدل ، فقال عمر : يا رسول الله ايذن لي فيه اضرب عنقه، فقال دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع صلاتهم ، وصيامه مع صيامهم، يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر الى رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم الى نضيه — وهو قدحه — فلا يوجد فيه ، ثم ينظر الى قذذه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل اسود ، احدى عضديه مثل ثدي المرأة ، او مثل البضعة تدردر ، ويخرجون على حين فرقة من الناس . (قال ابو سعيد) فاشهد اني سمعت هذا الحديث من رسول الله (ص) واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه ، فامر بذلك الرجل فالتمس فاتي به ، حتى نظرت اليه علَى نعت النبي (ص) الذي نعته انتهى بحرفه من الصحيح

(اقول) لا يسعني هنا الا ان اقول ما قاله الاستاذ في رسالته وراء هذا الحديث « صلى الله عليك يا رسول الله من نبي باهر المعجزات، قاهر

الآيات ، ظاهر البينات ، سوى اني لاهتدي الى سر كلماتك الشريفة ، ورموزك الدقيقة ، ولا ادري لماذا ذلك التشديد والتأكيد والمبالغة : ينظر الى نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم الى رصافه (وهو مغرز النصل من السهم) ثم الى نضيه ، ثم الى قذذه ، فلا يجد في الجميع شيئاً ، لا ادري يا رسول الله ما الذي توعز اليه ، وعماذا تكني وتشير بذلك التكرير ، اكل ذلك ايعازاً لامتك باجتناب تلك الطائفة ، وانذاراً بان لا شيء فيها من الخير ، ولا بصيص لها من النور ، ولا رصيص بها من الانتفاع والهدى » كل هذا اوافق الاستاذ عليه ، ولكنني اقول ينبغي ان يقتصر في الحديث علَى مورده ، ولا يتجاوز به الى ما عداه ، فان النبي (ص) قد خصص من خرجوا علَى علي عليه السلام ، وميزهم عمن عداهم ، فقال « آيتهم رجل اسود ، احدى عضديه مثل ثدي المرأة ، او مثل البضعة تدردر » فهؤلاء قد مرقوا من الدين بنص حديث رسوله (ص) واما من جاء بعدهم ، فلم ينص علَى علَى مروقهم ، فلا يحملوا شطراً من اوزارهم ، ليشركوا معهم في حكمهم ، وقد قال تعالى : « ولا تزر وازرة وزر اخرى »

ويشهد لما قلناه قول ابي سعيد الخدري (رض) : واشهد ان علي بن ابي طالب قاتلهم وانا معه ، فامر بذلك الرجل فالتمس فاتي به علَى نعت النبي (ص) الذي نعته » فهذا مما يؤيد ان الحديث مقصور عليهم ، لا يتجاوزهم الى غيرهم . لا يقال العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب : فالحديث شامل لكل من كان يرى رأيهم ، ويدين بما يدينون به ، فيكون حكم من جاء منهم علَى الاثر ، حكم من مضى من قبل — لا يقال ذلك لان النبي (ص) قد جعل للمارقين منهم علامة يعرفون بها — لئلا يلتبسوا علينا بغيرهم ، فقال

صلوات الله عليه : آيتهم رجل اسود الى آخر الحديث ، خشية من ان نقول بالعموم ، ونحكم على جميعهم بالمروق من الدين . واما قول الاستاذ حفظه الله : ان من امتك من يتولون عن نصائحك ويتأولون : فان عنى بذلك السيد القاسمي فغير محق ، لانه ماتولى عن النصائح ، ولم يتأول شيئاً ولكنه اقتصر على مورد الحديث لما قدمنا ، ولم يكفر من جاء بعد من الخوارج ، لان النبي (ص) لم يكفرهم ، فهل يعد متأولاً ومتوليا عن النصائح من عرف كلام الرسول فوقف عنده ، ولم يتجاوزه الى مابعده !؟؟ ثم اقول وهب انه قد تأوله كما زعمتم ، فليس هو بدعا في تأوله ، بل قد تأول حديث الخوارج من قبله حملته ورواته ، كعلي بن ابي طالب ومن قاتلهم معه من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين . واصحاب رسول الله اعرف منا بمراد رسول الله (ص) وقد تأولوا الحديث على ماسنذكره ، افيقال انهم قد تولوا عن نصائحه ؟ حاشاهم من ذلك ثم حاشاهم



معيار الجرح والتعديل

﴿ فصل ﴾

وقد رأيت ان اذكر هنا طرفاً من اخبار الخوارج ، ويسيراً من احوالهم ، لاني رأيت ان المقام يستدعي زيادة بسط وايضاح ، ليستبين الحال ، ويظهر الامر ، فاقول : ان من سبر تاريخ حياة الخوارج ، ودقق النظر في امرهم علم انهم رجال شدة وجفوة ، قلوبهم قد قست فهي كالحجارة او اشد قسوة ، ولقد والله اتوا بفظائع تقشعر منها الابدان ، وتشيب لهولها الولدان ، وتخجل

لذكرها وجه الانسانية ، وتمج سماعها الطباع البشرية ، فلقد قتلوا الرجال ، واهلكوا الاطفال ، وذبحوا الامهات ، والبنين والبنات ، حتى انهم كفروا من لم يعتقد معتقدهم ، او يرى رأيهم ، واستباحوا دمه وماله ، واهله وعياله ، ومنهم من اجاز نكاح بنت الابن والاخت ، ومنهم من انكر سورة يوسف ، ومنهم من انكر الصلوات الخمس ، وقال صلاة بالغداة وصلاة بالعشي ، ومنهم من اوجب الصلاة عَلَى الحائض في حال الحيض — ذلك بانهم كما قال الامام ابن حزم (١) رحمه الله : كانوا اعراباً قرؤا القرآن قبل ان يتفقهوا في السنن الثابتة عن رسول الله (ص) ولم يكن فيهم احد من الفقهاء ، لا من اصحاب ابن مسعود ، ولا اصحاب عمر ، ولا اصحاب علي ، ولا اصحاب عائشة ، ولا اصحاب ابي موسى ، ولا اصحاب معاذ بن جبل ، ولا اصحاب ابي الدرداء ، ولا اصحاب سلمان ، ولا اصحاب زيد وابن عباس وابن عمر ، ولهذا تجدهم يكفر بعضهم بعضاً عند اقل نازلة تنزل بهم من دقائق الفتيا وصغارها انتهى

وقد قضت حكمة الله سبحانه في خليقته ، ان يورث ارضه لمن صلح لها من العباد ، ووفق لسلوك طريق الحكمة والسداد ، قال تعالى « ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادي الصالحون » ومعناه الصالحون لاستعمارها ، وتدبير شئونها وكيفية استثمارها ، العارفون كيف تساس البلاد والسكان ، عَلَى وفق اصول الاجتماع ونظام العمران . والخوارج ما عرفوا شيئاً من ذلك ، بل كان دأبهم الحرب ، والطعن والضرب ، والسلب والنهب ، فلم يقاتلوا عدواً في الدين ، ولا فتحوا بلداً للمسلمين ، بل كان حربهم مقصوراً على

«١» الفصل جزء ٤ ص ٥٦

اخوتهم ، اذ كانوا يعتقدونهم كفاراً ، ويتقربون الى ربهم باصلائهم ناراً ، فلذلك كان من حكمة الله تعالى ان دمرهم عن آخرهم ، واراح المسلمين من شرهم . الا ترى انا لما كنا صالحين لاستعمار الارض — ايام كان الاسلام في حضارته ونضارته — كيف امتدت سلطتنا ، وعلت كلمتنا ، وقوي نفوذنا ، وخضع العالم لقوة سلطاننا . ولما انحرفنا عن جادة الصراط السوي ، كيف انقلب الحال ، وساء المآل ، وقام اناس من بيننا احداث الاسنان ، سفهاء الاحلام ، يزعمون انهم مصلحون ، ويشهد الله انهم مفسدون ، وانهم فيما زعموه من الاصلاح لكاذبون « واذا قيل لهم لاتفسدوا في الارض قالوا انما نحن مصلحون ، الا انهم هم المفسدون ولكن لايشعرون » نبذوا كتاب الله وراءهم ظهرياً ، اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً ، لاصلاة ولاصيام ، ولا حلال ولا حرام قصروا همتهم على دراسة الكتب الغربية ، ونسوا ماسلفنا من العلوم العربية ، وهم الضاربون باوفر سهم ، في كل فن وعلم . عشقوا الغرب واولعوا بلغته ، وصبغوا بصبغته ، ففسدت اخلاقهم ، وساءت آدابهم ، وصار التفرنج لهم عادة ، وذكر اوربا لهم عيادة . وليت هؤلاء الخفاف العقول قلدوا الاوربيين بالشيء النافع ، والعمل الرافع ، ولكنهم يقلدونهم بالازياء ، واستحسان تبرج النساء ، ! واذا نشر الواحد منهم مقالة في صحيفة ، توهم نفسه انه صار بها المفرد العلم ، الذي يشار اليه بالقلم :

ان الزرازير لما قام قائمها توهمت انها صارت شواهينا

يستسمن نفسه بتخيل العلم وهو ذو ورم ، نار همته في طاعة الله خامدة عن الضرم ، اما والذي نفسي بيده ، لايأخذ الله بيدهم ، ولا ينصرهم على

عدوهم ، مالم يقلعوا عن غيهم ، ويرجعوا الى رشدهم ، وينيبوا الى ربهم ، ويأخذوا بهدي نبيهم ، ويسلكوا سبيل السلف الصالح ، ويرحم الله القائل : « لن يصلح آخر هذه الامة الا بما صلح به اولها » فمن اين لامثال هؤلاء ان يصلحوا غيرهم ، وهم ليسوا صالحين بانفسهم ، فضلاً عن اصلاح غيرهم ، « وفاقد الشيء لايعطيه » ومن اين لهؤلاء الاحداث الاغرار ، ان يرثوا الارض والديار ، وهم على ماهم عليه من اباحة المنكرات ، وانتهاك المحرمات ، وقد قال تعالى : « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم امناً ، يعبدونني لايشركون بي شيئاً ، ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون » فانت ترى ان الله تعالى قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات ان يستخلفهم في الارض ، وهؤلاء بينهم وبين الاعمال الصالحات ، كما بين الارضين والسموات ، فلم يكونوا موعودين ان يستخلفوا في الارض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولا ان يبدلوا من بعد خوفهم امنا ، بل بدلوا من بعد امنهم خوفاً ، ومن بعد عزهم ذلا ، ومن بعد قوتهم ضعفا ، وقد صال — واسفاً — عليهم اعداؤهم فاراقوا منهم الدماء ، وازهقوا نفوس الابرياء ، وهتكوا اعراض النساء ، واهلكوا الحرث والنسل ، والاوطان والاهل ، ولم يغادروا فظيعة الا فعلوها ، ولا شنيعة الا ارتكبوها .. نعم صال علينا الاغيار ، فجاسوا خلال الديار . اتوا ارضنا فنقصوها من اطرافها ، واحاطوا بها من اكنافها ، وكادوا ان يذهبوا بالقلب لا سمح الله ...

يا اسفي على الاسلام والمسلمين ، ويا لهفي على البلاد التي افتتحت بدم

الاجداد الفاتحين ، كيف آل امرها الى السقوط بايدي الكافرين ....

لجائع الدهر انواع منوعة	وللزمان مسرات واحزان .
وللحوادث سلوان يسهلها	ولا لما حل بالاسلام سلوان .

« قل اللهم مالك الملك ? تؤتي الملك من تشاء ، وتنزع الملك ممن تشاء ، وتعز من تشاء ، وتذل من تشاء ، بيدك الخير انك على كل شيء قدير »

وقد خرجت عن الموضوع ، واستطردت الى ذكر شبيبتنا لادنى مناسبة ، وان هي الا نفثة مصدور ، وشكوى محزون ومقهور ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وارجع الآن الى ذكر الخوارج ، وقد ذكرت هناك ما عليهم ، فها انا ذا اذكر هنا مالهم ، فاقول : انهم كانوا اصحاب زهادة ، وتقوى وعبادة ، وكان بعضهم يقضي نهاره صائماً ، وليله قائماً ، صادقين في اللهجة ، يرون الكذب كفراً ، شديدي التحرج عن الوقوع في المـآثم ولقد قاتلوا لاجل الدين ، ولم يكن قتالهم لتحصيل رآسة ، ولا لنيل منصب ، ولا فوز بوجاهة ، ولا اصابة مغنم ، فان نسكهم معروف ، وزهدهم شهير . وانقل من زهدياتهم شيئاً مما ذكره ابن ابي الحديد رحمه الله في شرح نهج البلاغة لامير المؤمنين عليه السلام ، قال (١) رحمه الله تعالى : قـال ابو العباس : ولابي بلال مرداس في الخروج ابيات اخترت منها قوله :

ابعد ابن وهب ذي النزاهة والتقى	ومن خاض في تلك الحروب المهالكا
احب بقاء او ارجي سلامة	وقد قتلوا زيد بن حصن ومالكا .
فيارب سلم نيتي وبصيرتي	وهب لي التقى حتى الاقي اولائكا .

وقال عيسى بن فاتك الخطي :

---

(١) ص ٤٤٨ مجلد ١

الا في الله لا في الناس شالت بداود واخوته الجذوع .
مضوا قتلا ، وتمزيقاً ،وصلبا ، تحوم عليهم طير وقوع .
اذا ما الليل اظلم كابدوه فيسفر عنهم وهم ركوع .
اطار الخوف نومهم فقاموا واهل الارض في الدنيا هجوع .

وقال آخر :

ياعين بكي لمرداس ومصرعه يارب مرداس الحقني بمرداس .
تركتني هائماً ابكي لمرزأة في منزل موحش من بعد ايناس .
انكرت بعدك ممن كنت اعرفه ما الناس بعدك يامرداس بالناس .
اما شربت بكأس دار اولها علَى القرون فذاقوا جرعة الكاس .
فكل من لم يذقها شارباً عجلاً يسقى بانفاس ورد بعد انفاس .

وقال ايضاً :

لقد زاد الحياة اليَّ بغضاً وحباً للخروج ابو بلال .
احاذر ان اموت علَى فراش وارجو الموت تحت ذرى العوالي
فمن يك همه الدنيا فاني لها والله رب البيت قالي .

ذكر ابو العباس المبرد في (الكتاب الكامل) ان عروة بن ادية ، احد بني ربيعة بن حنظلة ، ويقال انه اول من حكم ، حضر حرب النهروان ، ونجا فيها فيمن نجا ، فلم يزل فيها باقياً مدة من خلافة معاوية ، ثم اخذ واتي به زياد ومعه مولى له ، فسأله عن ابي بكر وعمر فقال خيراً ، فقال له فما تقول في عثمان وفي ابي تراب ، فتولى عثمان ست سنين من خلافته ، ثم شهد عليه بالكفر ، وفعل في امر علي (ع) مثل ذلك الى ان حكم ثم شهد عليه بالكفر ثم سأله عن معاوية فسبه سباً قبيحاً ، ثم سأله عن نفسه

فقال اولك لريبة ، وآخرك لدعوة وانت بعد عاص ربك : فامر فضربت عنقه ، ثم دعا مولاه فقال : صف لي اموره فقال : اطنب ام اختصر ، قال : بل اختصر ، قال : ما اتيته بطعام في نهار قط ، ولا فرشت له فراشاً في ليل قط.

قال ابو العباس : اتي عبد الملك بن مروان برجل من الخوارج ، فبحثه ، فرأى منه مما شاء فهماً وعلماً ، ثم بحثه فرغب فيه ، فاستدعاه الى الرجوع عن مذهبه ، فرآه مستبصراً محققاً ، فزاده في الاستدعاء ، فقال : يغنيك الاولى عن الثانية ، قد قلت وسمعت ، فاسمع اقل ، فجعل يبسط من قول الخوارج ويزين له من مذهبهم ، بلسان طلق ، واقوال بينة ، ومعان قريبة ، فقال عبد الملك بعد ذلك — عَلَى معرفته وفضله — لقد كاد يوقع في خاطري ان الجنة انما خلقت لهم ، وانا اولى العباد بالجهاد معهم ، ثم رجعت الى ماثبت الله من الحجة ، وقدر في قلبي من الحق ، فقلت الآخرة والدنيا لله ، وقد سلطنا الله في الدنيا ومكن لنا فيها ، واراك لست تجيبنا الى مانقول والله لاقتلنك ان لم تطع ، فابى ذلك ، اذ دخل علي بابني مروان ، قال ابو العباس وكان مروان اخا يزيد بن عبد الملك لامه عاتكة بنت يزيد ابن معاوية ، وكان ابيّاً عزيز النفس ، فدخل به عَلَى ابيه في هذا الوقت باكياً لضرب المؤدب اياه ، فشق ذلك عَلَى عبد الملك ، فاقبل عليه الخارجي وقال : دعه يبك ، فانه ارحب لشدقه ، واصح لدماغه ، واذهب لصوته ، واجرى ان لاتأبى عليه عينه اذا حضرته طاعة الله واستدعى عبرتها : فاعجب ذلك من قوله عبد الملك ، وقال له متعجباً : اما يشغلك ما انت فيه ويعرضك عن هذا ؟ فقال : ماينبغي ان يشغل المؤمن عن قول الحق

شيء فامر بحبسه وصفح عن قتله ، وقال بعد معتذراً اليه ، لولا ان تفسد بالفاظك اكثر رعيتي ماحبستك ، ثم قال : لقد شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله ، وغير بعيد ان يستهوي من بعدي اه

وما اوردته في هذه العجالة، فهو شذرة من اشعارهم،وقليل من زهدياتهم واخبارهم ، ومن اراد ان يسبر غور امرهم ، ويقف على حقيقة حالهم ومقالهم ، فعليه بكتب التواريخ والملل والنحل ، ومن احسن من كتب ذلك وتوسع الامام ابو العباس محمد بن يزيد المبرد في كتابه (الكامل) ، والامام عز الدين ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة .

اما الحديث المروي في الصحيح ، فهو نص في مروق من قاتلهم علي وقتلهم من الدين ، ومن تأخر منهم لا يكون مارقاً من الدين، ويشهد لذلك قوله (ص) (آيتهم رجل اسود) وهو ذو الثدية ، وقد وجد هذا يوم النهروان صريعاً بين القتلى ، كما اخبر عنه رسول الله (ص) قال في شرح النهج (١) : قد تظافرت الاخبار حتى بلغت حد التواتر بما وعد الله تعالى قاتلي الخوارج من الثواب على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم . وفي الصحاح المتفق عليها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا هو يقسم قسماً : واورد الحديث بتمامه (الي ان قال : وفي بعض الصحاح : يقتلهم اولى الفريقين بالحق : وقد قتلهم علي (ع) وهو اولى الفريقين بالحق .

واذا لم يكفر علي من خرجوا عليه وقاتلهم وقتلهم يوم النهروان — وهم المرادون من الحديث النبوي — ولم يكفرهم من قاتلهم معه من الصحابة ،

«١» مجلد ١ ص ٢٠٢

فاولى واحرى ان لا يكفر من جاء بعدهم ، ولم يشهد وقعة النهروان وهم غير مرادين من الحديث النبوي .

قال الامام ابن تيمية :(١) واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن ابي طالب وغيره ، لم يكفروا الخوارج الذين قاتلوهم ، بل اول ما خرجوا عليه وتحيزوا بحر وراء ، وخرجوا عن الطاعة والجماعة ، قال لهم علي ابن ابي طالب رضي الله عنه : ان لكم علينا ان لا نمنعكم مساجدنا ولا حقكم من الفيء . ثم ارسل اليهم ابن عباس فناظرهم ، فرجع نحو نصفهم ، ثم قاتل الباقي وغلبهم ، ومع هذا لم يسب لهم ذرية ، ولا غنم لهم مالا ، ولا سار فيهم سيرة الصحابة في المرتدين كمسيلمة الكذاب وامثاله ، بل كانت سيرة علي والصحابة في الخوارج مخالفة لسيرة الصحابة في اهل الردة ، ولم ينكر احد عَلَى علي ذلك ، فعلم اتفاق الصحابة على انهم لم يكونوا مرتدين عن دين الاسلام .

قال الامام محمد بن نصر المروزي : وقد ولي علي رضي الله عنه قتال اهل البغي وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم فيهم ما روى وسماهم مؤمنين ، وحكم فيهم باحكام المؤمنين ، وكذلك عمار بن ياسر .

وقال محمد بن نصر ايضاً : حدثنا اسحق بن راهويه ، حدثنا يحيى بن آدم ، عن مفضل بن مهلهل ، عن الشيباني ، عن قيس بن مسلم ، عن طارق بن شهاب ، قال : كنت عند علي حين فرغ من قتال اهل النهروان ، فقيل له : امشركون هم ، قال من الشرك فروا ، فقيل افمنافقون ، قال المنافقون لا يذكرون الله الا قليلاً ، قيل فما هم ، قال قوم بغوا علينا فقاتلناهم .

«٢» منهاج السنة جزء ٣ ص ٦٠

وقال محمد بن نصر ايضاً : حدثنا اسحق ، حدثنا وكيع عن مسعر ، عن عامر بن شقيق ، عن ابي وائل ، قال قال رجل من دعي الى البغلة الشهباء يوم قتل المشركون ، فقال علي من الشرك فروا ، قيل المنافقون ، قال المنافقون لا يذكرون الله الا قليلاً ، قيل فما هم ، قال قوم حاربونا فحاربناهم ، وقاتلونا فقاتلناهم . : قلت الحديث الاول وهذا الحديث صريحان في ان علياً قال هذا القول في الخوارج الحرورية اهل النهروان ، الذين استفاضت الاحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذمهم والامر بقتالهم ، وهم يكفرون عثمان وعلياً ومن تولاهما ، فمن لم يكن معهم كان عندهم كافرا ، ودارهم دار كفر ، فانما دار الاسلام عندهم هي دارهم انتهى كلام ابن تيمية رحمه الله

ثم ان ما اتوه من تقتيل الرجال ، والنساء والاطفال ، هم فيه مجتهدون وعلى جميع ماتيهم مستدلون ، وان اخطئوا في ذلك . ويحسن بي ان اورد هنا شيئاً من مآخذهم واستنباطاتهم ، في مناظرة جرت بين رجلين منهم ، ذكرها ابن ابي الحديد في شرح (نهج البلاغة) قال(١) رحمه الله — عند ذكر بعض اسماء رؤساء الخوارج و بعض عقائدهم : ومنهم نجدة بن عامر ، واحتج نجدة بقول الله تعالى : « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه » فسار نجدة واصحابه الى اليمامة ، واضاف نافع الى مقالة قدمناها استحلاله الغدر بامانته لمن خالفه ، فكتب نجدة اليه : اما بعد فان عهدي بك وانت لليتيم ، كالاب الرحيم ، وللضعيف كالاب البر ، تعاضد قوي المسلمين ، وتصنع للاخرق منهم ، لا تأخذك في الله لومة لائم ، ولا ترى معونة ظالم كذلك

(١) مجلد ١ ص ٣٨٣

كنت انت واصحابك ، او لا تتذكر قولك لولا اني اعلم ان للامام العادل مثل اجر رعيته ما توليت امر رجلين من المسلمين ، فلما شريت نفسك في طاعة ربك ابتغاء مرضاته ، واصبت من الحق فصه ، وصبرت عَلَى مره ، تجرد لك الشيطان ، ولم يكن احد اثقل عليه وطأة منك ومن اصحابك ، فاستمالك واستهواك واغواك ، فغويت واكفرت الذين عذرهم الله تعالى في كتابه من قعدة المسلمين وضعفتهم ، قال الله عز وجل — وقوله الحق ، ووعده الصدق « ليس عَلَى الضعفاء ولا عَلَى المرضى ولا عَلَى الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله » ثم سماهم تعالى احسن الاسماء فقال: « ما عَلَى المحسنين من سبيل ثم استحللت قتل الاطفال ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله عن قتلهم ، وقال الله جل ثناؤه : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » وقال سبحانه في القعدة خيراً فقال : « وفضل الله المجاهدين عَلَى القاعدين اجراً عظيماً » فتفضيله المجاهدين عَلَى القاعدين ، لا يدفع منزلة من هو دون المجاهدين ، او ما سمعت قوله تعالى : « لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر » فجعلهم من المؤمنين . ثم انك لا تؤدي امانة الى من خالفك ، والله تعالى قد امر ان تؤدي الامانات الى اهلها ، فاتق الله في نفسك ، واتق يوماً لا يجزي فيه والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً . فان الله بالمرصاد ، وحكمه العدل ، وقوله الفصل والسلام .

فكتب اليه نافع : اما بعد اتاني كتابك تعظني فيه وتذكرني ، وتنصح لي وتزجرني ، وتصف ما كنت عليه من الحق ، وما كنت اوثره من الصواب ، وانا اسأل الله ان يجعلني من القوم الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، وعبت علي ما دنت به من اكفار القعدة وقتل الاطفال ،

واستحلال الامانة من الخالفين، وسأفسر لك ان شاء الله: اما هؤلاء القعدة فليسوا كمن ذكرت ممن كان عَلَى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم كانوا بمكة مقهورين محصورين، لايجدون الى الهرب سبيلا، ولا الى الاتصال بالمسلمين طريقا، وهؤلاء قد تفقهوا في الدين وقرؤا القرآن، والطريق لهم نهج واضح، وقد عرفت ماقال الله تعالى فيمن كان مثلهم، اذ قالوا كنا مستضعفين في الارض فقال «اولم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها» وقال سبحانه: «فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله» وقال: «وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم» نخبر بتعذيرهم وانهم كذبوا الله ورسوله، ثم قال: «سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم» فانظر الى اسمائهم وسماتهم.

واما الاطفال: فان نوحاً نبي الله كان اعلم بالله مني ومنك، وقد قال: «رب لاتذر عَلَى الارض من الكافرين ديارا، انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجراً كفارا» فسماهم بالكفر وهم اطفال، وقبل ان يولدوا، فكيف كان ذلك في قوم نوح ولا نقوله في قومنا، والله تعالى يقول: «اكفاركم خير من اولئكم ام لكم براءة في الزبر» وهؤلاء كمشركي العرب لايقبل منهم جزية، وليس بيننا وبينهم الا السيف او الاسلام.

واما استحلال امانات من خالفنا: فان الله تعالى احل لنا اموالهم كما احل دماءهم لنا، فدماؤهم حلال طلق، واموالهم فيءٌ للمسلمين، فاتق الله وراجع نفسك، فانه لاعذر لك الا بالتوبة، ولن يسعك خذلاننا والقعود عنا، وترك مانهجناه لك من مقالتنا، والسلام عَلَى من اقر بالحق وعمل به.

وكتب الى من بالبصرة من المحكمة: اما بعد فان الله اصطفى لكم الدين،

فلا تموتن الا وانتم مسلمون،انكم لتعلمون ان الشريعة واحدة،والدين واحد، ففيم المقام بين اظهر الكفار ، وترون الظلم ليلا ونهارا ، وقد ندبكم الله عز وجل الى الجهاد فقال : « قاتلوا المشركين كافة » ولم يجعل لكم في التخلف عذرا في حال من الاحوال ، فقال : « انفروا خفافا وثقالا » وانما عذر الضعفاء والمرضى والذين لايجدون ماينفقون ،ومن كانت اقامته لعلة، ثم فضل عليهم مع ذلك المجاهدين ، وقال : « لايستوي القاعدون من المؤمنين غير اولي الضرر،والمجاهدون في سبيل الله » فلا تغتروا وتطمئنوا الى الدنيا ، فانها غرارة مكارة ، لذتها نافدة ، ونعيمها بائد ، حفت بالشهوات اغترارا ، واظهرت حبرة ، واضمرت عبرة ، فليس آكل منها اكلة تسره ، ولا شارب منها شربة توافقه — الا دنا بها درجة الى اجله ، وتباعد بها مسافة من امله ، وانما جعلها الله داراً لمتزود منها الى النعيم المقيم ، والعيش السليم ، فليس يرضى بها حازم داراً ، ولا حكيم قرارا ، فاتقوا الله ، « وتزودوا فان خير الزاد التقوى » والسلام على من اتبع الهدى انتهى

فتبين جلياً مما اثرناه عن شرح النهج من المناظرة التي جرت بين نجدة ونافع والكتاب الذي كتبه نافع الى اهل البصرة انهم مجتهدون فيما فعلوه ، متأولون فيما اقترفوه ، خلافا لما قاله الاستاذ « ما كانوا متأولين ولا مجتهدين وكانت قد تمت عليهم الحجة ، وانقطعت منهم اسباب المعذرة ، وانطبقت عليهم الآيات البينة . فليس هم الا معاندون للحق جاحدون الدين عابدون للهوى وان كانوا بصورة اهل الدين . ولكن ليس قصدهم كما يشهد الله ورسوله الا الفتنة والفساد في الارض وشق عصا المسلمين ، وان تكون لهم امرة واثرة » وقد رايت من احوالهم واقوالهم ما لا يمكنك ان تحكم معه بأنهم

عباد هوى يبغون الفتنة والفساد ، وان تكون لهم الاثرة والامرة . وانقل في هذا المقام ، عن امير المؤمنين علي عليه السلام ، مايطمئن به القلب ، وينشرح له الصدر ، ويحل به الاشكال ، ويتبين به انهم طلاب حق اخطأوه قال (١) سلام الله عليه : « لا تقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه ، كمن طلب الباطل فاصابه » قال الرضي رحمه الله (يعني معاوية واصحابه)

قال الشارح ابن ابي الحديد : (مراده ان الخوارج ضلوا بشبهة دخلت عليهم وكانوا يطلبون الحق ، ولهم في الجملة تمسك بالدين ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها ، وان اخطئوا فيها (الى ان قال) وعند اصحابنا ايضاً ان ان الفاسق المتغلب بغير شبهة يعتمد عليها لايجوز ان ينصر عَلَى من يخرج عليه ممن ينتمي الى الدين ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر بل يجب ان ينصر الخارجون عليه وان كانوا ضالين في عقيدة اعتقدوها بشبهة دينية دخلت عليهم ، لانهم اعدل منه واقرب الى الحق ولا ريب في تلزم الخوارج بالدين اه كلام ابن ابي الحديد عليه الرحمة

أفبعد هذا كله يقال انهم معاندون للحق جاحدون للدين عابدون للهوى وان كانوا بصورة اهل الدين » ؟

قال الامام ابو جعفر الطبري (٢) : قال ابو مخنف عن مجاهد ، عن المحل بن خليفة ، ان رجلا منهم من بني سدوس يقال له العيزار بن الاخنس كان يرى رأي الخوارج ، خرج اليهم فاستقبل وراء المدائن عدي بن حاتم ومعه الاسود بن قيس والاسود بن يزيد المراديان ، فقال له العيزار حين استقبله : اسالم غانم ام ظالم آثم ؟ فقال عدي لا بل سالم غانم ، فقال له

---

(١) شرح النهج مجلد (١) ص (٤٤٧) (٢) تاريخ الامم والملوك جزء (٦) ص (٥٠)

المراديان : ما قلت هذا الا لشر في نفسك وانك لنعرفنك يا عيزار برأي القوم ، فلا تفارقنا حتى نذهب بك الى امير المؤمنين فنخبره خبرك ، فلم يكن باوشك ان جاء علي فاخبراه خبره ، وقالا يا امير المؤمنين انه يرى رأي القوم قد عرفناه . فقال : ما يحل لنا دمه ولكنا نحبسه : فقال عدي بن حاتم : يا امير المؤمنين ادفعه الي وانا اضمن ان لا يأتيك من قبله مكروه ، فدفعه اليه اه

قلت هذا ايضاً مما يؤيد ان هناك فرقا بين من قاتله عليه السلام ومن لم يقاتله ، والا فلم استحل دم اولئك ولم يستحل دم هذا ولماذا امر بحبسه دون قتله ؟ فقال : « ما يحل لنا دمه ولكنا نحبسه » أليس لهذه الشبهة التي دخلت عليه في الدين — وهو مسلم باق عَلَى اسلامه ؟ افيجوز بقاؤه حياً لو كان مرتداً عن دينه ؟ أليس ذلك لكونه طلب الحق فاخطأه — كما قال (ع) فيما تقدم ؟ اللهم نعم .

وقال الامام الشهرستاني (١) : المحكمة الاولى هم الذين خرجوا عَلَى امير المؤمنين (ع) حين جرى امر الحكمين ، واجتمعوا بحروراء من ناحية الكوفة ، ورئيسهم عبدالله بن الكوا . وعتاب بن الاعور . وعبدالله بن وهب الراسبي . وعروة بن جرير . ويزيد بن عاصم المحاربي . وحرقوص بن زهير المعروف بذي الثدية . وكانوا يومئذ في اثني عشر الف رجل اهل صيام وصلاة اعني يوم النهروان (قال) فيهم قال النبي صلى الله عليه وسلم تحقر صلاة احدكم في جنب صلاتهم ، وصوم احدكم في جنب صيامهم ولكن لايجاوز ايمانهم تراقيهم . (قال) وهم المارقة الذين قال فيهم : « سيخرج

(١) الملل والنحل ص (١٥٦)

من ضضئ هذا الرجل قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »

(قال) وهم الذين اولهم ذوالخويصرة وآخرهم ذو الثدية اه

وحاصل هذا البحث كله ان المتكلمين في الخوارج علَى قسمين : قسم لم يحكموا بكفرهم ومروقهم من الدين كعلي بن ابي طالب ومن قاتلهم معه من الصحابة رضي الله عنهم — كما تقدم من قوله (رضي الله عنه) : هم من الشرك فروا . — المنافقون لايذكرون الله الا قليلاً . — لاتقاتلوا الخوارج بعدي فليس من طلب الحق فاخطأه ، كمن طلب الباطل فاصابه ولم ينكر عليه احد من الصحابة ذلك . وقسم اخذوابظاهر الحديث النبوي ، وحكموا بمروق من اخبر عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم مارقون ، وهم الذين اولهم ذوالخويصرة وآخرهم ذوالثدية . والله اعلم

﴿ فصل ﴾

وممن رأى رأي شيخنا من المعاصرين ووافقه على مـاذهب اليه ، العالم الفاضل الشيخ عبد القادر المغربي الشهير . قال (١) حفظه الله تحت عنوان (طريق الوئام لاهل الاسلام) اهدى الينا الاستاذ الفاضل الشيخ جمال الدين القاسمي الدمشقي رسالته التي سماها (الجرح والتعديل) والموضوع الذي دار عليه البحث في هذه الرسالة ، هو ان العلماء والائمة السابقين الذين خالفوا اهل السنة في بعض المسائل المجتهد فيها ليسوا فسقة ولا ضالين ، قال المؤلف : ولا يحسن ان نسميهم مبتدعين ايضاً اي اصحاب بدعة ، وانما ينبغي ان نسميهم مبدّعين — اي المنسوبين للبدعة . ومحصل ما اورده

---

(١) جريدة « البرهان » عدد (١١٦)

المؤلف في رسالته انه استدل علَى ماذهب اليه بدليلين دليل نقلي ودليل عقلي ٠

اما الدليل النقلي ، فهو ان الامام البخاري ومسلم (رض) رويا في صحيحيهما احاديث عن بعض اولئك الائمة الذين خالفوا مذهب اهل السنة والجماعة في كثير من الآراء الاجتهادية ، فلو كان يصح اعتبارهم فسقة ضالين لما استجاز الامامان لانفسهما الرواية عنهما ، فكأن الامامين يقولان ان مخالفينا في الرأي ليسوا فسقة ولا ضالين ٠ واما الدليل العقلي فهو ان ائمة المعتزلة والقدرية مثلا لم يخالفوا اهل السنة والجماعة بقصد الافساد في الدين ، والخروج عن هدي سيد المرسلين ، وانما هم خالفوهم لدليل ظهر لهم ، وفهم قوي رسخ في نفوسهم ، بحيث اصبحوا يعتقدون ان مخالفهم في رأيهم هو المخطئ في رأيه ، المتنكب سواء السبيل في فهمه ، ولو كان هؤلاء القوم يخالفون اهل السنة بسوء نية وقصد فتنة ، لما كانوا تمسكوا باحكام الدين اشد تمسك ، ووقفوا علَى حدود الشريعة اكلّ وقوف ، ناهيك ان المعتزلة يكفرون مرتكب الكبيرة ، (١) فشارب الخمر عندهم كافر ، وشاهد الزور كافر وهكذا ومن يتشدد الى هذا الحد في التمسك بحبال الشريعة ينبغي ان ينصف ولا يوصم بالابتداع ولا الفسق ، وحسبك ان عمرو بن عبيد المعتزلي هو الذي قال فيه المنصور :

كلكم طالب صيد غير عمرو بن عبيد

فهل يصح ان يوصف رجل مثل هذا — خاف الله واتقى معصيته — بالفسق والابتداع ؟ وانما المبتدع الفاسق ، هو الذي قامت القرائن ودلت

«١» قوله هذا ليس على اطلاقه ٠ بل يكفرونه اذا مات مصراً على ارتكابها ، اما اذا تاب واناب فلا ٠ اه «بيطار»

الاحوال على انه يريد في مخالفته انتهاك حرمات ، ونقم شهوات. هذا ملخص ماجاء في هذه الرسالة الفريدة.

ولعمري ان ماقاله هذا الفاضل هو الحق ، والا فان المخالف في الرأي عن دليل واجتهاد — وهو يعتقد انه مصيب في رأيه ، واقف عند حد الشريعة في امره يعذره الشرع كما يعذر ذلك الذي لايعرف ان نوعاً من الاشربة مثلاً محرم ، فبقي يتناوله طول حياته — فان هذا لايصح ان يسمى فاسقاً او مرتكباً كبيرة في نظر الشريعة المطهرة ، لانه في عمله لم يقصد مخالفة ربه ، ولا انتهاك حرمة دينه. هذا ولقدسمعت من المرحوم السيد جمال الدين الافغاني كلمة في هذا الموضوع يحسن ذكرها هنا قال: ان المناظرات الجدلية في المسائل الغامضة التي وقعت بين علماء الاسلام وائمتنا الاولين كان يقصد بها في الغالب اظهار المقدرة في الاستنباط ، والبراعة في الاستدلال ، والمهارة في ابطال حجة الخصم بحجة اقوى منها: فكان العالم اللوذعي ، والفطن الالمعي ، يدقق نظره في حجة خصمه ودليله ، ثم يأتي له من دقيق النظر وقوي الحجة مايبطل حجته ، ويسد عليه طريقة استدلاله — اظهاراً للمقدرة والتفوق في الفهم. فكان المناظر يقول في بعض الاحايين لمناظره: ان قولك هذا يلزم منه القول بكذا وهو كفر في اعتبار الشرع ، فيرد عليه خصمه ، ويستنبط من قوله مايستدعي كفره ايضاً مع ان كلاً منهما في الحقيقة ليس بكافر ، ولا يعتقد ان خصمه كافر ، وانما الحجج الجدلية كان بعضها يكفر بعضاً.

ومن اسخف رأياً ممن يكفر اخاه المسلم الذي يصلي صلاته ويتوجه الى القبلة توجهه ، ويؤمن بالقرآن ويحمد ايمانه — يكفره بشيء يلزم من قوله

لابقوله الصريح نفسه ، فيجب علَى كل مسلم ان يتدبر ما رويناه عن السيد جمال الدين ، ويقرأ كتاب (الجرح والتعديل) الذي الفه الاستاذ القاسمي ، فان في ذلك فائدة عظمى لنا معشر المسلمين تؤدي الى تأليف قلوبنا ، وجمع ماتشتت من اهوائنا ، ولا يقتصر نفع ذلك علَى الجامعة الدينية فقط بل هو مفيد لنا في قوة السياسة ، وثبات الدولة ايضاً فان من تدبر مامر اصبح ينظر الى اخوانه المخالفين له في بعض الآراء المذهبية ، والمنبثين في مختلف الاقطار الاسلامية ، بعين الالفة والحب والوئام فتستحكم جامعتنا ، وتشتد صولتنا ، وتعلو كلمتنا ، فما احوجنا اليوم نحن المسلمين السنيين ان نتحد ونأتلف مع اخواننا الشيعيين في ايران ، والزيديين في اليمن ، والاباضيين في اطراف جزيرة العرب وفي المغرب ، (ولا تنس ابطال الاباضية المجاهدين في طرابلس الغرب) والوهابيين في جزيرة العرب والهند وغيرهم وغيرهم ، فاننا كلنا نؤمن باله واحد ، ونبي واحد ، وقرآن واحد ، وقبلة واحدة ، فاذا اتسقت لنا كل هذه الوحدات لانبالي بعدها ان تختلف آراء ، وتتباين افهام ، وتتصادم حجج ، فان العبرة للقصد والغرض والنية ، وليست العبرة للازم ولازم اللازم في المناظر الجدلية اه

✵ فصل ✵

قال الاستاذ النجفي : ثم ليت شعري ولا ادري انه اذا كان الامام من ائمة الحديث قد توسع وتساهل حتي صار يقبل رواية مثل عمران بن حطان وداود بن الحصين ، ومروان بن الحكم ونظرائهم وهم اعداء الله كما عرفت ، فما باله تضايق وتحرج فلم يرو عن مثل جعفر بن محمد الخ وكتب الاستاذ في

ظهر رسالته : وجدنا (المنار) الكريمة قد اشارت بالاجمال في هذا العدد نفسه (يعني عدد (١٢) مجلد ١٥) الى ما لعلها توعز فيه الى بعض تلك السوآلات التي القيناها لا الى كلها ، حيث تقول (ص ٩٤٩) عند ذكر (حياة البخاري) الذي جمعه شيخنا القاسمي : وكنت ارجوان ارى في الترجمة بيان السبب الذي ترك له البخاري الرواية عن الثقات العدول والاقلال منها انتهى فليتدبر الناظرون والله ولي التوفيق

(اقول) قد سبق لاستاذنا القاسمي حفظه الله الجواب عن عدم رواية البخاري عن الامام جعفر الصادق عليه السلام وامثاله من الثقات في كتابه (نقد النصائح الكافية) عند ذكر السيد ابن عقيل عدم احتجاج الامام البخاري بجعفر الصادق ، وايراده ابيات قيلت في المعنى واولها

هذا البخاري امام الفئه — قضية اشبه بالمرزئه

صحيحه واحتج بالمرجئه — وبعده بالصادق الصديق ما احتج في

الى آخر الابيات : وكأن استاذنا حفظه الله قد اكتفى بذكر الجواب في (النقد) عن ذكره في (حياة البخاري) اعتماداً على ان ذكره هناك يغني عن ذكره هنا لمن اراد الوقوف عليه . نعم كان يلزم ايراده في (حياة البخاري) ايضاً - لاقتضاء المقام اياه وان لم يورد فيه فلا اقل من الاشارة الى الموضع الذي ورد فيه والاحالة عليه . وانا انقل في هذا المقام طرفا من الاوجه التي ذكرها شيخنا في جوابه في (النقد) ومنه يعلم السبب في رواية البخاري عن امثال ابن حطان وابن الحكم ، وعدم روايته عن بعض الثقات العدول قال (١) حفظه الله :

«١» المبحث الرابع عشر ص ٤٠

(الثالث) اتفقوا عَلَى ان لاملام عَلَى امام في اجتهاده، والبخاري من كبار الائمة المجتهدين فهب انه اجتهد في رواية جعفر ، فان اخطأ كان مأجوراً معذوراً .

(الرابع) قد يترك جامع المسند الرواية عمن غاب عليه الفقه — لان شهرة الراوي بالرواية والحفظ تدعـو لتحمل طالب الحديث عنه وكتابة حديثه ، اكثر من التحمل عمن اشتهر بالفقه . ومن ذلك ترك البخاري وامثاله الرواية عن ابي يوسف ومحمد بن الحسن وامثاله . وقد يكون من هؤلاء في نظره الامام جعفر فلا يلزم من ترك الرواية عنه جرحه .

(الخامس) قد يترك المحدث الرواية عن راوٍ لراوٍ آخر في طبقته إما انه لايراه فوقه في العلم ، وان ماعنده اضبط واسد ، او ان في سنده علواً ، او نحو ذلك من مقاصد المتحملين (١) . وكله مما لاحرج فيه ولا يستلزم الغض من سالك سبيله لانه سبيل مشروع ، وعمل متبوع ، قال الامام ابن حزم في الفصل — في الرد عَلَى الامامية الذين يرون العلوية افضل معاصريهم مامثاله : وكذلك لايجدون لجعفر بن محمد بسوقا في علم ولا دين ولا في عمل عَلَى محمد بن مسلم الزهري ، ولا عَلَى ابن ابي ذوءب ، ولا على عبدالله بن عبد العزيز بن عبدالله بن عمر ، ولا عَلَى عبيد الله بن عمرو بن حفص بن

---

(١) رأيت — بعد كتابة ماتقدم — في مجاميع المكتبة العلمية عندنا في دمشق ، عدد « ٢٥ » — رسالة للخطيب البغدادي في الاحتجاج بالشافعي قال فيها : ان البخاري اخرج في صحيحه عن بعض المذكورين في تاريخه . وسبيل من ترك الاخراج عنه ، سبيل ماترك من الاصول اما ان يكون الراوي ضعيفاً ليس من شرطه ، او يكون مقبولاً عنده غير انه عدل عنه استغناء بغيره ، ثم قال : والذي نقول — في تركه الاحتجاج بالشافعي انما تركه لا لمعنى يوجب ضعفه لكن غني عنه ، بماهو اعلى منه ، اه

عاصم بن عمر ، ولا علَى ابني عمه محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن ، وعلي ابن الحسن بن الحسن ، بل كلٌّ من ذكرنا فوقه في العلم والزهد ، وكلهم ارفع محلاً في الفتيا والحديث ، لايمنع احد منهم من شيءٍ من ذلك اه بحروفه

(قال استاذنا) وثمة وجوه اخرى واعذار اربابها ابصر بها · ولايحتج علَى البخاري برواية غيره عن الامام جعفر ، لأن لكل وجهة · وما كل فاضل يكلف المحدث الرواية عنه او له مادام لاهيمنة ولاسيطرة علَى الاذواق والمشارب بالاجماع · واما احتجاج البخاري بالمرجئة ، فانه لم يحتج بهم ويرو لهم لهذا العنوان — اعني الارجاء — وانما خرج رواية الثبت الصدوق منهم · وهذا مايهم الراوي والمتحمل مهما كان مذهب المروي عنه ومشربه ·

واما احتجاجه بعمران بن حطان مع انه من كبار الخوارج ، فلما ذكرنا من الصدق في الحديث ، والتوقي في الرواية والامانة العظمى ، وما قولك فيمن يرى الكذب كفراً ؟ واما مآتيه وعقده فحسابه على ربه (١) · واما مروان فقد قال عروة — ومقامه في التابعين معروف ، — : لايتهم مروان في الحديث · واما ابن المرأة المخطئة ، فيعني به الناظم — غفر الله له — معاوية ، ويشير الى امه هند في خطئها في قصة سيد الشهداء حمزة رضي

«١» قال المبرد في الكامل : وكان عمران بن حطان في وقته شاعر القعد الصفرية ورئيسهم ومفتيهم · وللرهين المرادي ولعمران بن حطان مسائل كثيرة في ابواب العلم ، في القرآن والآثار وفي السير والاحكام وفي الغريب والشعر اه

وقال ابو الفرج الاصبهاني في ترجمته في الاغاني : كان عمران من القعدة «بفتحات» لان عمره طال فضعف عن الحرب وحضورها فاقتصر علَى الدعوة والتحريض بلسانه ، وقد ادرك صدراً من الصحابة وروى عنهم وروى عنه اصحاب الحديث · واصله من البصرة اه

الله عنه ، وما وقع منها في جاهليتها ، الا ان الناظم فاته ان الاسلام يجب ماقبله ، لان الاسلام بسماحته ودعوته الى الصفح والعفو يتناسى امثال ذلك ولا يذكرها اه

﴿ فصل ﴾

قال الاستاذ : وما اقصى مايذب عنهم المحامي لهم والمصحح للرواية عنهم ، الا ان يقول : اننا نرتاح الى نقلهم ونسكن الى روايتهم ، لما نعلمه من تحرجهم عن الكذب وتصلبهم في الورع ، وتجافيهم عما يعلمون حرمته من ضرورة الكتاب وشعائر الاسلام التي لم تدخل عليهم شبهة فيه كما دخلت عليهم في غيره ، فنقلهم ورواياتهم لنا ، و بدعتهم عليهم : وقد ورد مثله عن بعض ائمة اهل البيت عليهم السلام حيث قال في بني فضال — بعد ان زاغوا ووقفوا : خذوا ماروا ، وذروا مارأوا ، والخبر لاموضوعية له في نفسه ، وانما الغرض التوصل به الى السنة وكلام المعصوم ، واذا حصل الوثوق جاز الاعتماد عليه او تخريجه من اي مخبر كان ، واعتبار العدالة من اجل انها هي الطريق الغالب لتحصيل الوثوق لا لخصوصية فيها : هذا غاية مافي وسع المجالد عنهم والمكافح دونهم الخ

(اقول) لعمري لقد اجاد الاستاذ ببيانه ، وافاد بتبيانه ، واتى بكلام المجالد عنهم ، والمكافح دونهم ، علَى اتم وجه واحسن اسلوب ، وكذا نقله عن بعض ائمة اهل البيت عليهم السلام ماقاله في بني فضال(١) -- بعد ان

« ١ » بفتح الفاء وتشديد الضاد اشهرهم الحسن بن علي بن محمد بن فضال بن عمرو ابن ايمن الكوفي ٠ كان من اصحاب الرضا عليه السلام وكان فطحيا يقول بامامة عبد الله ابن جعفر قبل ابي الحسن فرجع فيما حكي وكانت وفاته سنة ٢٢٤ كما في كتاب الرجال=

زاغوا ووقفوا : خذوا مارووا ، وذروا ماراأوا الخ فانه غاية في التحقيق ، ونهاية في التدقيق ، ولو لم يكن من المناقشة الا نقل هذه الجملة الذهبية — التي اثرها الاستاذ عن هذا الامام — لكفى ، وان نقل الاستاذ عنه ذلك في معرض الرد ، لاموافقة في القصد ، فان ماورده قد اجبنا عنه ، وفرغنا منه ، وقياسهم عَلَى بني فضال ، لامندوحة عنه بحال ، لانهم جميعاً قد ضلوا السبيل وفتحوا باب التأويل ، وقول الاستاذ : « وبنو فضال لم يرد فيهم انهم مرقوا من الدين ، حتى يكون الاخذ برواياتهم وصحة التخريج عنهم ، اجتهاداً في مقابلة النص ، بل الامر عَلَى العكس ، فان النص ورد بالجواز فاين هذا من ذاك » فقد قدمنا ان المروق من الدين ، قاصر عَلَى قوم مخصوصين ، وهم الذين قاتلوا امير المؤمنين ، وهؤلاء جاءوا متأخرين ، فلم يكونوا مرادين من حديث الصادق الامين ، حيث انهم ماعرفوا ذا الثدية ولا ادركوه . واما آراؤهم ومآتيهم ، فانا نذرها اليهم ، ويكون وزرهم قاصراً عليهم ، وانما القصد تحمل السنة النبوية عمن لايتهم بالكذب ، وهؤلاء من ابعد الناس عنه . وقد اجبت عن هذه الايرادات التي اوردها الاستاذ غير مرة ، وعَلَى الخصوص في الفصل الذي عقدته لذكر ما للخوارج وما عليهم فليراجع .

﴿ فصل ﴾

قال الاستاذ : ومن قبل ذلك ما نقده الشيخ القاسمي عَلَى كتاب

= الكشي والنجاشي . واشتهر من اولاد الحسن المذكور احمد ويقال انه كان فطحيا ايضا وله مؤلفات . واخوه علي وكان فقيه الشيعة بالكوفة وثقتهم وله عدة مؤلفات كما في كتاب النجاشي

(النصائح الكافية) ذلك الكتاب الذي يليق ان يعد من اكبر حسنات هذا العصر وانصع مآثره ، تلك النصائح التي ما كنا نخال فاضلاً كالقاسمي يحيف عليها بتلك النقود التي ليس لها من الحقيقة مسيس ، ولا من المتانة والقوة رسيس (قال) ومن نظر في النصائح ثم عقبه بالنظر الى نقدها ،وجد جلياً ان كل تلك النقود قد ذكرها (السيد الشريف) في نصائحه ودحضها باقوى الحجج والبراهين ، ثم جاء الناقد فأورد النقود واغفل جواباتها اه

(اقول) هذا ما قاله الاستاذ في الصفحة الاخيرة من (عين الميزان) في (نقد النصائح الكافية) فماذا اقول في نقده هذا ؟ وما ذا عساي ان اجيبه عنه ؟؟ أأقول انه « قد مال بعض الميل وبخس بعض الكيل ؟؟ ايسمح لي ان اقول انه قد « تجاوز وتطرف ، وتوسع وتعسف ؟؟

لو نقد الاستاذ بعض مباحث الكتاب ، لكان لي من الامر منفسح لكنت اما ان اجيبه عَلَى نقده ، او اسلم له ما نقده ، ولكنه رعاه الله قال عن جميع تلك النقود التي في الكتاب : ليس لها من الحقيقة مسيس ، ولا من القوة والمتانة رسيس ! — : كل تلك النقود قد ذكرها (السيد الشريف) في نصائحه ، ودحضها باقوى الحجج والبراهين !! — : جاء الناقد ، فاورد النقود واغفل جواباتها !!!

وماذا عليك لو ناظرت الشيخ بانصاف فيما لاحظت عليه في كتابه (النقد) ومعلوم ان الانصاف ، يزيل من البين كل خلاف ، كما ان قلة الانصاف تقطع الصلة حتى بين الاخ واخيه ، والابن وابيه :

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة ... بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

والظاهر ان الاستاذ حفظه الله قد نظر الى (النصائح الكافية) بعين

الرضا وعقبه بالنظر الى نقدها بعين السخط :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة　　كما ان عين السخط تبدي المساويا

ثم اقول ليس السيد القاسمي بدعا في الرد علَى السيد ابن عقيل في (نصائحه) فقد رد عليه السيد حسن بن شهاب من العلويين بكتاب سماه (الرقية الشافية، من نفثات سموم النصائح الكافية). وناقشه السيد ابو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين في اواخر كتابه (وجوب الحمية عن مضار الرقية) الذي انتصر به له ورد فيه علَى (الرقية الشافية). ولم يسلم له السيد صاحب (المنار) جميع ما كتبه، في (نصائحه) كما انه لم يسلم لاستاذنا جميع ما كتبه في نقدها، حيث قال: (١) وجملة القول ان كل واحد من الكاتبين في هذه المسألة وغيرها، يؤخذ من كلامه ويترك، ويقبل منه ويرفض اه

وليس من قصدي الآن ان اضع النصائح ونقدها علَى بساط البحث والنظر، فان ذلك يستدعي وقتاً طويلاً، ويستوعب كتاباً كبيراً، ولقد تراكم علينا وعلَى بلادنا من المصائب، والمشاغل والمتاعب، مايثنينا عن مثل هذه المناظرات، وينسينا تلك الهنات، ويبعثنا علَى الاتفاق، ونبذ الاختلاف والشقاق، ويدعونا الى التمسك بالاخوة الدينية، والرابطة الايمانية، «ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا انك رؤف رحيم» «الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله، لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ونودوا ان تلكم الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون»

«١» المنار ج ٤ م ١٤ ص ٣١٦

﴿ تذييل ﴾

وقفت — بعد تمام طبع الرسالة — على كتاب لحضرة العلامة السيد عبد الحسين بن شرف الدين الموسوي ، سماه (الفصول المهمة في تأليف الأمة) . فالفيته فريداً في بابه ، ممتازاً على اترابه ، شاهداً لمؤلفه السيد بطول باعه ، ووفرة علمه وسعة اطلاعه . قصد به حفظه الله (ولنعما قصد) لم شعث الأمة ، وتوحيد الرأي والكلمة ، وجعل اسباب الصلة بين امة التوحيد شيعيها وسنيها ، حتى يحصل بين روحيهما العارف ، ويحل محل التناكر والتخالف ، لأن « الارواح جنود مجندة ، ماتعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف » وحتى تكون هذه الامة كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر »

ولعمري ان هذا لما يجب ان يصدع به ائمة الدين ، وقادة افكار المسلمين . هذا مايجب ان يقرأ في الدروس ، ويكتب في التآليف ، ويخطب به على المنابر ، وينشر على اعمدة الصحف . هذا مايجب على الاساتيذ تدريسه ، وعلى التلاميذ درسه ، وعلى العامة حفظه . هذا مايجب ان يبث في الافكار ، ويجاهد به في الليل والنهار ، وتنفق في سبيله نفائس الاموال والاعمار ، حتى تكون هذه الامة كلمتها واحدة ، كما كان دينها واحدا ، ومقاصدها واحدة .

لايمكن ان تنجح هذه الامة ، وتكشف عنها هذه الخطوب المدلهمة ، حتى ترجع الى القرآن ، وتأخذ بالهدي النبوي ، وتعيد للاسلام سيرته الأولى . وهذا لايمكن الا بالاتحاد ، ونبذ الضغائن والاحقاد .

لايمكن لهذه الأمة ان ترد عنها غارات الاعداء ، وترفع عنها ما نزل بها من الرزايا والبلايا ،والمحن والاحن،حتى ترجع الى كتاب ربها ، وتأخذ بهدي نبيها ، وتسلك سبيل السلف الصالح . وهذا لايمكن الا بالاتفاق ، وترك التنافر والشقاق .

لايمكن لهذه الامة ان ترتقي الى اوج السعادة ، وتجلس على منصة الرآسة والسيادة ، وترجع — كما كانت — قادة الامم بالعلم،وسادتها بالفضل والفهم ، حتى تأتمر بما امر الله به،وتنتهي عما نهى الله عنه،وتعيد للاسلام قوته ، وصولته ودولته ، وهـذا لايمكن الا بالائتلاف ، وهجر مايفضي الى الاختلاف .

حيا الله يوماً ارى فيه علماء المسلمين قد تنبهوا الى هذا الواجب الديني ، وجعلوا يبثون روح الاخاء والوداعة ، بين الشيعة واهـل السنة والجماعة ، حتى يقفا في وجه تيار الامم الغربيـة ، التي نقصت بلادهما من اطرافها ، ووقصتها من اكنافها،وكادت ان تقضي القضاء الاخير على البقية ، وتقضي على حياتها الاستقلالية .

يشبه هذا الكتاب (الفصول المهمة) كتاب استاذنا القاسمي (ميزان الجرح والتعديل) من حيث دعوة المسلمين الى الاجتماع ، ورفـع التعصب الكامن في نفوسهم . واجدر بهذين الكتابين ، لهذين المؤلفين الجليلين ، ان يكونا مطمح نظر كل مسلم ، ليزال بهم التعصب من النفوس ، ويرجع بالدين الى سماحته الاولى

وحيث ان ما اودعته رسالتي كان في هذا الصدد نفسه ، وفي هذا الموضوع ذاته ، احببت تذييلها بنقل شيء من هذا الكتاب ، يكون متمماً

للقصود . قال (١) حفظه الله — في بحث « انه لا وجه لتكفير من انكر خلافة الشيخين من المسلمين متأولاً » :

« ونحن نظرنا فيما صح عند اهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير معنى الاسلام والايمان، فلم نجده (٢) مقيداً بها، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سبباً في احترام الدماء والاعراض والاموال فلم تكن (٣) من جملتها ، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها (٤) في زمرتها . فاي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها ، واي دليل على كفر المتأولين من منكريها ، فان القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة ، وانما قادتهم الادلة الشرعية الى القطع بأمور في القائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، والمستوي على مرقاته ، كعدم سبق الكفر منه على الايمان وكعصمته والعهد اليه ، وعدم كونه مفضولا واستدلوا على هذه الشروط بادلة (من الكتاب والسنة والعقل) كثيرة لا يسع المقام بيانها ، وقد استقصيناها في كتابنا (سبيل المؤمنين) . وهبها شبهاً (كما تقول) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لانها من الكتاب والسنة ، وقد الجأته الى القطع بما صار اليه ، فان كان مصيباً والا فقد اجمع المسلمون على معذرة من تأوّل (في غير اصول الدين) وان اخطأ كما سمعته في فصل المتأولين

على انه لا وجه للتكفير بانكارها حتى لو فرضنا انها من اصول الدين

«١» الفصول المهمة صفحة ١٦٤ «٢» راجع الفصل المعقود لبيان معنى الاسلام في صفحة ١٢ من هذه الرسالة اه «منه» «٣» راجع الفصل المختص باحترام الموحدين في صفحة ١٧ من هذه الرسالة اه «منه» «٤» راجع الفصل المتعلق بنجاة الموحدين في صفحة ٣٠ من هذه الرسالة اه «منه»

عندهم ، لانها بالنسبة الى منكريها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا من الامور التي يعلمون انعقاد الاجماع عليها »

(اقول) وهؤلاء الخوارج لم تكن بينهم وبين الحق عداوة ، وانما قادتهم الادلة الشرعية (١) من الكتاب والسنة الى القطع بكفر من لم ير رأيهم ووجوب قتالهم وهبها شبهاً (كما نقول) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لانها من الكتاب والسنة ، وقد الجأته الى القطع بما صار اليه ، فان كان مصيباً والا فقد اجمع المسلمون عَلَى معذرة من تأول (في غير اصول الدين) وان اخطأ .

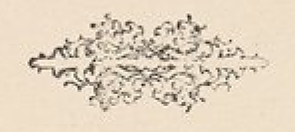
عَلَى انه لاوجه للتكفير باعتقادهم كفر من لم يرَ رأيهم ووجوب قتالهم ، حتى ولو فرضنا انهم خالفوا في ذلك اصلاً من اصول الدين ، لانه بالنسبة الى منكريه ليس من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا من الامور التي يعلمون انعقاد الاجماع عليها .

فان قلتم ان الدليل عَلَى كفرهم هو ما اورده الامام البخاري رحمه الله من حديث ذي الخويصرة وهو نصٌ في كفرهم . قلنا قد سبق لنا الجواب في كتابنا عن هذا الحديث من وجهين : (احدها) انه مخصوص بطائفة منهم ، وهم الذين اولهم ذوالخويصرة وآخرهم ذوالثدية . (والثاني) ان حملة هذا الحديث النبوي من الصحابة الكرام لم يحكموا عليهم بالكفر ، وامير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي عنه اخبر انهم طلاب حق اخطأوه ، كما اثرنا عنه ذلك من (نهج البلاغة) . وانتم ترون وجوب عصمته ، فان

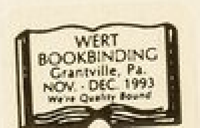
«١» راجع صفحة ٣٧ من هذا الكتاب

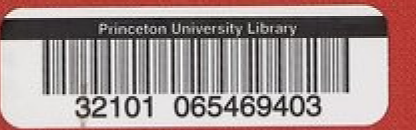
خالفتموه في رأيه ، فقد جوزتم عليه الخطأ ، ونقضتم به المدّعى . وان وافقتموه في رأيه فقد رفعتم سمة الكفر عنهم ، وادخلتموهم في عداد المؤمنين ، وظلوا في تأويلهم معذورين . وانا نسأله تعالى ان يؤلف بين قلوبنا ، ويجمعنا على كلمة التقوى ، ويجعلنا « من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه ، اولئك الذين هداهم الله ، واولئك هم اولو الالباب »

وكان الفراغ من كتابتها يوم الاحد في ٢٩ ربيع الثاني سنة ١٣٣١ عَلَى يد جامعها محمد بهجت بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن البيطار الدمشقي . عفا الله عنهم اجمعين




VETVS & NOVVM TESTAMENTVM
DEI SVB NVMINE VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY


WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
NOV. - DEC. 1993
We're Quality Bound


Princeton University Library
32101 065469403